دعوة الحق

السنة الثامنة - العدد ٩٤ - العام ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

الفطرة
وقيمة العمل في الاسلام

بقلم :
اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

تصدرها رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة



بسم الله الرحمن الرحيم



آيات القرآن الكريم
في أنواع العمل

قال تعالى في الفلاحة :

- **﴿أفرءَيتم ماتحرثون أءنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾**

سورة الواقعة ، ٦٣ ، ٦٤ آيات

في صناعات التعدين :

- **﴿وأسلنا له عين القِطْر﴾**

آية ١٢ سورة سبأ

- **﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾** آية ١٧ سورة الرعد .

في صناعات الحديد :

- **﴿وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾**

سورة الحديد آية ٢٥

- **﴿ءاتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال ءأتوني أفرغ عليه قطرا﴾**

آية ٩٦ الكهف .

في الصياغة :

- **﴿واتخذ قوم موسى من حليهم عجلا جسداً﴾**

١٤٨ الاعراف

في صناعات الدروع وأجهزة الحروب :

- **﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم﴾**

الانبياء ٨٠ .

- **﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾**

النحل ٨١ .

في صناعات الكساء :

- **﴿ يابني آدم ، قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا﴾**

٢٦ الاعراف .

- **﴿ومن اصوافها واوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾**

٨٠ سورة النحل .

- **﴿ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا﴾**

٩٢ سورة النحل .

وفي صناعات الجلود :

- **﴿وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم﴾**

سورة النحل آية ٨٠ .

في صناعات السفن :

- **﴿وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾**

هود آية ٣٧ .

- **﴿وله الجوار المنشئات في البحر كالاعلام﴾**

الرحمن ٢٤ .

في الصيد وصناعاته :

- **﴿وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله﴾**

سورة فاطر ١٢ .

- **﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم﴾**

المائدة ٩٤ .

- **﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة﴾**

المائدة ٩٦ .

- **﴿وهو الذي سخر البخر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾**

النحل ١٤ .

في الصناعات المسكنية :

- **﴿وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا﴾**

الاعراف ٧٤ .

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم . .

وبعد .

فان الهداية الالهية الربانية للبشر متعددة الأوجه ، فهى تأتي بالنعم الغزيرة التى منحها الله عز وجل للناس كافة لتكون هذه النعم خير شاهد عليهم ومن أنفسهم لعل الناس تتذكر ، كما أن هذه النعم لايمكن حصرها أو عدها لأنها تفوق قدرات الانسان وطاقاته بل وتخيلاته ، وتأتي أيضا الهداية الالهية للبشر عن طريق الموائمة بين الجسد والروح . . وبين المادة والخلود وهى موائمة لايستطيع أن يدركها البشر ولا أن يغيروا طبيعتهما أو جوهرهما ، فاذا كانت الروح من أمر الله وسرها عنده عز وجل ، فان الجسد أيضا ملىء بالأسرار والاغوار وفناؤه وعودته الى طبيعته يوم الحشر هو أعظم الاسرار التى لايمكن أن تُدركها الأبصار .

ولذا ، فان الله عز وجل أرسل الرسل ليصححوا مسيرة البشرية في عثراتها المتتالية ولينبهوا هؤلاء البشر بضرورة مراعاة حدود الله وعبادته عز وجل لأنه خالقهم ورازقهم ومحاسبهم يوم القيامة . . ولكن كانت مهمة هذه الرسل محدودة في نطاق جغرافي وزماني محددين بدقة وبوضوح

حسب حالة الامراض التى تصيب البشرية وحسب طبيعة المرض وفعاليته وحجمه في نطاق بشري محدد جغرافيا وسكانيا . . وان جميع هؤلاء الرسل قد جاءوا بتعاليم التوحيد والاسلام ولكن في فترة زمنية معينة ولشعب محدد من الشعوب التى خرجت على النهج الرباني في التربية والبشرية .

ومن ثم كان لابد من دين بشري يسد حاجة البشر الروحية والمادية . . حاجة البشر كلهم . . ويخاطبهم بلسان واحد لأن البَشر كلهم من أصل واحد وهو سيدنا آدم عليه السلام ، فحق على الحق أن يدعوهم بدين واحد وهو الاسلام في دعوة شاملة عالمية تخاطب الناس كافة وتدعوهم الى الهداية والتوحيد والاسلام . . . فكان دين الاسلام دين العالمية ودين الخلود الى يوم البعث ، وكان سيدنا محمد ﷺ خاتم الرسل والنبيين . . ولكن . . كيف واءم الاسلام بين عناصر إختلاف البشر والاختلاف الجغرافي والاختلاف الزماني . . هذا ماسوف نعرفه من خلال الصفحات التالية .

الباب الأول
الإسلام دين الفطرة وشريعة الوجود

الفصل الأول
الفطرة بالاسلام

الفطرة . . . بالاسلام

هناك علاقة وثيقة بين الفطرة بالاسلام ، فاذا كان الاسلام هو الدين الذي تعهده الله بالرعاية والخلود الى يوم البعث ، فانه لابد وان يكون مواكبا لفطرة الانسان ، لأن من يختلف عن هذه الفطرة لابد أن يسقط ويلفظه كافة البشر لأن فطرة الانسان هى أساس تكوينه الروحي والمادي .

أولا : ماهي الفطرة :

الفطرة هى الطبيعة ، والفطرة من صنع الله كما قال عز وجل **﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾**[1] ويخلقنا الله جميعاً على الفطرة وعلى الطبيعة وعلى المحجة البيضاء ، قال رسولنا الكريم «كل مولود تلده أمه على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[2]» .

ولقد أشار القرآن الكريم في الآية السابقة الى أن الفطرة هى الدين القيم ، فاذا كانت الفطرة دينا فانها دين الله عز وجل ، دين البساطة والطبيعة ، والخلود ، لاحاجة فيه لتزييف

---

(١) سورة الروم آية (٣٠) .
(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة .

الطبيعة والافتيات عليها[٣] .

ويؤكد إبن تيميه أن الفطرة نقية صافية ، وأن طبيعة الانسان تظل كذلك ، بفطرة نقية صافية ، على شرط تطهير البيئة من كل مايلوث هذه الفطرة وازاحة المعوقات أمام انطلاق هذه الفطرة ، وبذلك تلعب التربية الصحيحة دورا هاما في توكيد هذه الفطرة وامدادها بما تلزم لكي تساير طبيعة الانسان[٤] .

واذا تفحصنا آية الفطرة في سورة الروم ، نجد أنها وردت بعد جولة واسعة في رحاب الكون ومشاهده وفي أغوار النفس وأعماقها ، وبعد استعراض شامل لمظاهر القدرة الالهية متمثلة في نظام الاسرة وابداع الكون واختلاف الالوان والالسن والتجاء البشرية الى الله بالليل والنهار والتماع البرق وإنزال المطر والنبات واذعان السماء والارض لمشيئة الله ، وخروج الناس من قبورهم بأمر ربهم وقصة الخليقة ونشأتها ثم إحياؤها واعادتها . والفطرة ثابتة لاتتغير إلا بمؤثر خارجي .

ثانيا :

اذا كانت الفطرة واحدة ، غذاءها ودواءها معا في تلك

---

(٣) توفيق محمد سبع : واقعية المنهج القرآني (القاهرة/المطابع الاميرية – ٧٣) ص ٨٣ .

(٤) راجع كتاب الايمان لابن تيمية (دار الشعب – القاهرة ١٩٥٤) ص ١١٦ .

المشاهد التى عرضها القرآن في سياق متتابع ، فان هناك من العوائق مايحول بين الفطرة والارتشاف من نبع الهداية وأخطر تلك العوائق ماأشارت اليه الآية الكريمة التى وردت في أعقاب تلك المشاهد حيث قال تعالى **﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله ومالهم من ناصرين﴾**(٥) وأن لهذه الآية إيقاعا خاصا بعد عدة آيات للنظر والتدبر ، وهى تشير الى عوائق الفطرة أبلغ إشارة(٦) ، وتكمن هذه العوائق في الاهواء البشرية المختلفة التى تجتذب الفطرة نحوها وتُزيف خصائصها وتلوي زمامها عن العقيدة السليمة الى شهوات ونزوات ماانزل الله لها من سلطان .

ولذلك يقول إبن تيميه في كتابه الايمان ، إن فطرة المشركين قد فسدت نتيجة لظروف النشأة ، فلم يفهموا ، ولو فهموا لم يعلموا لأن الله نفى عنهم صحة القوة العلمية والعملية وقال في شأنهم **﴿أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا﴾**(٧) . وقال عز وجل ايضا **﴿ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع الا دعاءً ونداءً﴾**(٨) .

---

(٥) الآية ٢٩ سورة الروم .
(٦) توفيق محمد سبع : مرجع سابق : ص ٩٥ - ٩٦ .
(٧) ٤٤ سورة الفرقان .
(٨) آية ١٧١ سورة البقرة .

والله عز وجل لاينشيء أقواما ويَخْلُقهم للنار ، وانما يحاسبهم على سعيهم وكسبهم ، فمن زكى عن نفسه ونقى فطرته وطهر بيئته فقد افلح ومن أوبق نفسه ولوث فطرته فقد خاب ، فقال تعالى **﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾*** **﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾**[9] .

ولذلك ، فان الرسول ، يؤكد في حديثه لأبي هريرة دور الأب والأم الكبير في تنقية فطرة الانسان ، فهما التأثير الاقوى عليه ولابد من أن يفهما قيمة الإسلام ويعملا على عدم تلويث فطرة الأبن .[10] .

إذن ، فالناس جميعا يعترفون بالله بفطرتهم ، فالفطرة في ذاتها سليمة ولايكاد يوجد فوق الارض مخلوق لاينطوي على شيء من الشوق الروحاني أو شعور باطن مبهم بأن هناك قوة عليا يتوجه اليها بفطرته ، وهذه الفطرة السليمة يتراكم عليها الصدأ في كثير من الاحيان بسبب الاتجاهات المادية وقلة الثقافة الروحية ، ولكن الفطرة تتغلب على الصدأ احيانا تحت تأثير منظر رائع أو نجاح خارق أو هزيمة قوى أمام ضعيف أو ماشابه ذلك ، فاذا بالوجدان يتيقظ واذ بالفطرة تعود واذ بالانسان الذي كان ضالا يعود يهتف ياسبحان الله . . لاحول

---

* الصف آية ٥ .

(٩) ١٧ سورة محمد .

(١٠) د . عبد الفتاح بركة : الرسول الكريم خاتم النبيين (هدية مجلة الازهر المصرية عدد نوفمبر ٨٦) ص ٤٦ .

ولا قوة إلا بالله[11] .

ثالثا : الفطرة والدين :

معرفة الله عن طريق الفطرة والوجدان والضمير معرفة لاتحتاج الى دليل إنها صحوة لهذا الوجدان ويقظة للجانب الروحي ، ومن الواضح أن هذا الجانب متفاوت في الانسان ، ولذلك قد جاءت يقظته تتناسب مع درجات وجوده ، ولكن الجانب الروحي موجود في الانسان دائما ، فنجد طريق الفطرة والوجدان يقودنا الى الاعتراف بالله دون حاجة أو دليل أو برهان .

واذا كانت الفطرة ثابتة فان الدين ثابت ، وكلاهما واقعي **﴿لاتبديل لخلق الله﴾*** فاذا إنحرفت النفوس عن الفطرة لأي سبب لم يردها الى الله إلا الدين القيم الذي يجيد القوامة على النفس وعلى الحياة ويحرس الفطرة من الآفات والعطوب ويردها كلما جمحت أو أعرضت عن الله ، فالفطرة للدين والدين للفطرة[12] ، وحقا ، إن الدين مطلب لغريزة أصلية من غرائز الانسان لايسع المرء ان يتجاهلها وأن الانسان قد

---

(١١) د . احمد شلبي : مقارنة الاديان والاستشراق (القاهرة/مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية – بدون) ص ١٩٦ . وايضا نفسه : مقارنة الاديان «٣» الاسلام (القاهرة – النهضة المصرية – ٧٩ – ط ٦) ص ٧ .

* الروم آية ٣٠

(١٢) توفيق محمد سبع : مرجع سابق : ص ٩٨ – ٩٩ .

استشعر بغريزته وجود قوة أعلى هى التى خلقت العالم وهى التى تقوده الى مصير خفي ، وانه نتيجة لذلك كانت في الانسان حاسة روحية وكانت نزعة الايمان بالله قديمة في الانسان منذ خلقه . فالغريزة الانسانية في نفس الانسان وطبيعته تؤكد الايمان بالخالق لأن ذلك منقوش في اللاشعور الانساني(١٣) .

واذا كان الدين هو محاولة الكشف عن سر الكون كله والتعرف على خالقه والتعامل معه معاملة تليق بمقامه ، فان الفطرة الانسانية تتطلب دينا يُيَسر ولا يُعَسر في عبادة الله تعالى لتواكب كافة النفوس والطبائع والقدرات وتواكب مختلف المواقف التى يتعرض لها الانسان ويكون قادرا على استيعاب وتذوق جميع شؤون الدين والحياة حتى المتع والمتاع واللذات الخاصة اذا ماصاحبها ذكر الله تعالى بشرط أن تكون حلال طيبا ، وذلك ينبع من جوهر العبادة الذي يكمن في الادراك والشعور بفعل يد الله في الطبيعة والنفس والحياة(١٤) .

---

(١٣) راجع في ذلك : احمد حسن الباقوري : أصل الفطرة الانسانية (مجلة منار الاسلام – دولة الامارات العربية المتحدة – العدد الاول يناير ٧٦) ص ٢٩ وايضا ، د . عبد الغني عبود : الانسان في الاسلام والانسان المعاصر (دار الفكر العربي القاهر – ٧٨) ص ٨٧ ، ود . أحمد عروة : الاسلام في مفترق الطرق (دار الشروق بالقاهرة – ٧٥) ص ٣٧ .

(١٤) د . عبد المنعم خلاف : المادية الاسلامية وأبعادها (القاهرة – دار المعارف – ٨٣) ص ١١ – ١٩ .

كما أن الايمان يؤدي بانسان الطبيعة ووحدة القانون الطبيعي (الفطرة) الى تقدم العلم ونموه حيث لاتوجد عِلة بغير معلول أو خارجة لايقبلها العقل بشذوذها عما تجري عليه سُنَة الكون منذ الأَزل ، وهى سُنَة يؤكد الاسلام ثباتها واستمرارها ، وانها لاتخضع لتغيير أو تبديل ، فلن تجد لسُنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا وهى سنة تجري على مانعلم من هذا الكون الفسيح وما لانعلم بعد حيث نفترض في القانون العلمي أنه يسري على كل مايقع تحت الملاحظة أو يغيب عنها ، إلا أن الايمان باتساق الطبيعة وان أدى الى الايمان بوحدانية الله ، فانه لايكفي لصحة القانون العلمي الذي يقوم على التجريب والاستقراء[١٥] .

وكما يؤكد إبن تيميه في كتابه الايمان ، أن حصول دواعي الايمان والعلم إنما تكون وتحدث آثارها مع صحة الفطرة وسلامتها ، وأما مع فسادها فان المزاج يختل ، ومن ثم فلا يحس بلذة اللذيد بل ويتألم مه ويتأذى ، والفساد للفطرة تتناول القوة العلمية والعملية معا .

والتاريخ الانساني كله يذكرنا ويحدثنا عن أن الفطرة تزهو وتبرق عندما تتحد مع الدين ، فعندما يساير الانسان هذه الفطرة يتكامل الكيان الانساني وتتكون الحضارة والمدنية .

---

(١٥) د . حسين فوزي النجار : الاسلام والسياسة (القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٥) ص ٢٨٤ .

والدين والفطرة ماهو إلا شيء مُتْحد الجوانب والاركان ، فاذا كانت الفطرة هى الدين القيم فان الدين هو الفطرة أيضا[١٦] .

والفطرة والدين طريق واحد ، فلا يتصور أحد ان يأتي دين دون أن يُسَاير فطرة الانسان الذي سيؤمن به ، ولذلك فان معجزات الانبياء جاءت مسايرة لفطرة ولقدرة ولامكانات الشعوب التى وصلتها الرسالة مثل موسى عليه السلام إذ برع أهل مصر في السحر فجاءت معجزته مما برع فيه قومه فآمن به الكثير ، وكذلك عيسى وجميع الانبياء وسنفصل ذلك فيما بعد .

فالدين إستمرارًا لفطرة الانسان في كل زمان ومكان يصل اليه مدى هذا الدين .

رابعا : الفطرة . . والاسلام :

يوصف الاسلام بأنه دين الفطرة ، أي الطبيعة ، كما توصف عقيدته بأنها عقيدة من الفطرة . . . كيف ذلك ؟ .

من ناحية العقيدة فان عقيدة الاسلام في سموها وصفائها

---

(١٦) راجع في ذلك : د . عبد الغني عبود : مرجع سابق : ص ٩٣ ، د . عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعا : قضية الالوهية بين الفلسفة والدين : جـ ٢ (القاهرة دار الفكر العربي ١٩٧١) ص ٩٠ ، وايضا عبد الرازق نوفل : الله والعالم الحديث (دار الشعب – القاهرة – الناشرون العرب ١٩٧١) ص ١٥ ، ١٦ .

وبساطتها وسماحتها وفي بُعْدِها عن التعقيد والكهانة ، وفي واقعيتها الطبيعية ، تلائم فطرة الانسان وتعانق أشواقه في سهولة ويسر ، وتأخذ سبيلها الى القلب دون أي عناء أو جهد وكذلك عقيدة القرآن فلا تحتاج الى جهد يذكر لكي تغزو الفطرة لانها والفطرة سواء كلاهما من الله . .

ولذلك فان إنتشار الاسلام يرجع الى واقعية هذا الدين وبساطة عقيدته ، ولم يشهد التاريخ تحولا جماعيا لأمم وشعوب كانت في ذروة الحضارة كما شهد الاسلام ، حيث إعتنقته جماعات بأسرها مُرحبة بعقيدته السمحة ومبادئه الواقعية ، واجدة به الخلاص الاكبر من جاهلية ووثنية تطمس الفطرة ، ولذلك جاء الاسلام كدين نموذجي للفطرة ، فعقيدته تستمد ضياءها وصفاءها وتألقها من وهج الفطرة التى برأها الله طاهرة كفطرة المزن[17] .

وآية الفطرة التى تأمر بالسير على الطريق المستقيم دون سواه **﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها﴾*** فربط الله عز وجل بين طبيعة الاسلام وبين فطرة النفس البشرية فكلاهما موافقة لناموس الوجود ، وكلاهما يناسق - الآخر في طبيعته واتجاهاته ، فالله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل هذا الدين ليحكمه ويُصَرفه ويعالج أوصاله وعلله وهو أعلم بمن

---

(١٧) توفيق محمد سبع : مرجع سابق : ص ٨٢ - ٨٤ - ٨٥ و ص ٩٧ .

* الروم آية ٣٠ .

خلق . ولذلك يقول صاحب المنار[١٨] «القرآن الكريم كتاب أنزل على قلب رجل أمي نشأ على الفطرة البشرية سليم العقل صقيل النفس طاهر الاخلاق لم تتملكه تقاليد دينيه ولا أهواء دنيوية» .

ولذلك رفع الاسلام كل إمتياز بين الاجناس البشرية ، وقرر لكل فطرة شرف النسبة الى الله في الخلقة ، وشرف إندراجها في النوع الانساني في الجنس والفعل والخاصية وشرف استعدادها بذلك لبلوغ أعلى درجات الكمال الذي أعده الله لنوعها من خلاف مازعمه المنتحلون من الاختصاص بمزايا حُرم منها غيرهم[١٩] .

فاذا كان الاسلام جوهره صدق مع الله وصدق مع النفس وصدق مع جميع البشر وفي أنه دين سهل لا إلتواء في دعوته ولاتعقيد ، فهو إذن دين الفطرة طبيعته اليُسر والتسامح ، جمع المؤمنين به على التعاون والتراحم والتكامل ، كما دعا الى التحرر والمساواة ونصرة المظلوم ، ونادى بالمحافظة على الاسرة وترابطها وحث على صيانة العقل والسمو به ودعا الى حرية الفكر وحق الملكية الشخصية التى تحقق الخير وتجعله

---

(١٨) المرجع السابق ص ٩٩ .

(١٩) محمد عبده : رسالة التوحيد (القاهرة – سلسلة اقرأ – ١٩٧٨) ص ١٥٩ – ١٦٠

للجميع[٢٠] وهل أصدق من هذا على أن الاسلام دين الفطرة ؟ .

وإذا كانت الرسالات السماوية قد إنتهت برسالة محمد ﷺ فكان الرسول الخاتم الذي لااستدراك للسماء بعد ذلك على رسالته أبدا ، واذا تساءلنا لماذا كان هو الخاتم ؟ لقلنا : لأن الرسل السابقين إنما جاءوا على فطرة من الحياة في فطرة الكون وفطرة الحركة في الكون ، فطرة تُقَرب الانسان من الكون . ولذلك كان الاسلام في منهج القرآن متمثلا في أمرين[٢١] : أمر يتمثل في كونية الحياة وأمر يتمثل في تكليف البشر بأفعل ولا تفعل ، فالأمر الذي يتمثل في الأمر والنهي لم يتغير وليس لعقل أن يزيد عليه ، وليس لعقل أن يبتكر ويجتهد لأنه حكم تكليفي والناس فيه سواء من لدن محمد ﷺ الى أن تقوم الساعة ، فليس من المعقول أن يوجد بعد عصر محمد إفعل كذا بأمر جديد أو لاتفعل كذا بنهي جديد ، أما الذي يمكن أن يتغير فهو عطاء الكونيات في الارض .

كما ان الاسلام يُعَالج خلق الله للانسان على أنه جسم وروح ، فيلزم لإسعاده العناية بهما جميعا ومن أجل هذا إتجهت ثقافة الاسلام الى تربية جسم الشخص وتربية روحه

---

(٢٠) عبد الحفيظ على قرني : المسؤولية في الاسلام : (سلسلة دراسات في الاسلام – العدد ٢١٧ – ١٩٧٩) ص ١٠ .

(٢١) محمد متولى الشعراوي : الله والكون (دار المسلم المعاصر – القاهرة – ١٩٨٠) .

والجماعات عبارة عن مجموعة من الافراد فسلامة الفرد جسميا وروحيا معناه سلامة المجتمع روحيا وجسديا[٢٢]...

ولذلك فيكفي لتربية الطفل أن يتم تحفيظه سوراً محددة من القرآن ليستقر الايمان بالله في قلبه واليقين بالآخرة لأن الاسلام دين الفطرة ، فسورة الفاتحة إشتملت على صفات الله وذكر اليوم الآخر والاستعانة به وطلب الهداية الى الصراط المستقيم ، وكذلك سورة الاخلاص تستغرق سطرا واحدا في المصحف وقد جمعت صفات الله عز وجل في ايجاز واعجاز ﴿**قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد**﴾[٢٣] .

وهكذا نجد أن الاسلام تشريع لهداية الانسان ، هداية ترتفع به الى السماء ليرى نور الحق ونور الجلال في الله وحده : لا إله إلا هو الرحمن الرحيم – نور السموات والارض . . فالق الحب والنوى . . يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . . له ملك السموات والارض لا آله إلا هو يحيي ويميت . . الخ . . وهداية تصل الانسان بالارض التي يعيش عليها لتستقيم حياته على الحق والخير

---

(٢٢) د . احمد شلبي . مقارنة الاديان (مرجع سابق ص ١٣٠) .
(٢٣) د . عبد الله شحاته : علوم الدين الاسلامي (القاهرة/هيئة الكتاب ٨١).

والتزم بقواعد الدين واخلاقه وآدابه[٢٤] وبما رُسِمَ له من حدود وعاش من شرائع تقوم عليها حياة الفرد والجماعة متوائمتين في توازن لاتطغى فيه الفردية على الجماعية ولا الجماعية على الفردية حيث يقوم الوازع الالهي متسقا مع وازع الضمير ليعرف الفرد واجبه نحو الجماعة ولتعرف الجماعة واجبها نحو الفرد . . ويقوم الوازع الإلهي على الايمان وبدونه تختل القيم فقد خُلِقَ الانسان ضعيفا ، وهو في ضعفه نشد منفعته ولو كان فيها ضرر للاخرين ، فالمنفعة أصيلة في الانسان وهذه هى طبعة الاسلام التى تتفق مع الفطرة الانسانية .

وهكذا نجد أن الاسلام هو دين الفطرة البشرية . . دين كامل جامع شامل يخاطب هذه الفطرة ويلبي إحتياجاتها ويتعامل معها ويروضها أيضا . . لأن الخصيصة الرائعة للقرآن انه يحترم فطرة الانسان ولايهمل قدراتها وطاقاتها واستعداداتها في أية لحظة من اللحظات . فهو يعطي هذه الفطرة على قدر ما تعطيه ويتفاعل في وجودها على قدر ماتتفاعل معه ويمنحها المجد والسيادة على قدر ماتحقق مشيئة الله في الارض ، فلا نصر إلا بجهاد ولا ثمرة إلا بجهد ولا مجد إلا بعرق وكفاح أما أن ننتظر من القرآن أن يُنْشىء لنا عالما أفضل ونحن كَسَالى مهملون فذلك مالا يكون ! ! .

(٢٤) حسين فوزي النجار : الاسلام والسياسة . . مرجع سابق ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

الفصل الثاني

الاسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان

الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان

الاسلام هو رسالة الله عز وجل من أجل خير البشرية الى يوم البعث والحساب ولايستطيع أي مُشَكك أن يُشَكك في ذلك لأنه قد مرَّ حوالي اربعة عشر قرنا من الزمان ولم يستطع أحد أن يزعم أن هناك رسالة سماوية أخرى مع أن الفارق بين كل رسالة ورسالة قبل الاسلام لاتربو عن المائتي عام فقط ، فكيف يظل الاسلام طوال القرون السابقة إلا اذا كان الاسلام هو بالفعل خاتم الرسلات والديانة التى ارتضاها الله تعالى للبشر كافة حتى يوم الحساب .

فالاسلام في صورته التي عليها الآن والتي كانت كذلك منذ عهد سيدنا محمد هو الدين الذي ارتضاه الله دينا أبديا لنا ، وكما أن كل شيء مرده في النهاية الى إرادة الله تعالى واختياره ، فيجب أن نعلم أن إختيار الله لهذا الدين واصطفاه لرسوله قد كان بالحق[1] ، مصداقا لقوله تعالى **﴿هو الذي أنزل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾**[2] ويظهر في هذه الآية وغيرها من الآيات (الصف آية ٩) أن طابع هذه الرسالة وخصائصها التى تنطق في جملة وتفصيلا

---

(١) د . عبد الفتاح بركة : مرجع سابق : ص ٤٣ .
(٢) التوبة آية ٣٢ ، وانظر ايضا الآيات سبأ آية ٢٨ ، الاعراف آية ١٥٨ .

بأنها خاتمة الرسالة وأنها لذلك أبدية ، لاتنسخها شريعة أخرى الى قيام الساعة .

وسنرى في هذه الصفحات كيف يصلح الاسلام للزمان والمكان :

اولا : الاسلام يتم الرسالات السماوية :

معنى ظهور طابع الختم على الرسالة السماوية ماهو إلا اكتمالها بحيث لاتتحمل زيادة عليها ولانقصا فيها ، فمن حيث العقيدة نجدها واضحة بسيطة لاتعقيد فيها ولاغموض ، تقبلها العقول على اختلاف مستوياتها ، فتجد فيها العقول الباحثة مايكفيها ويشفيها ويُجيب على جميع أبواب الحيرة والتساؤل وتجد فيها العقول الساذجة البسيطة مايُقنعها ويُرضيها ويكفيها مئونة التعمق في متاهات البحث .

ولقد بعث الله تعالى رسوله محمداً ﷺ برسالة الاسلام متمما الرسالات السماوية السابقة وخاتماً بنبوته جميع النبوات ، كما أن الاسلام يدعو الى الايمان بالله وحده وعبادة الله معناها الاعتراف بقوة في هذا الوجود هى فوق قوة البشر جميعا ، ولهذا كان الاسلام دينا عاما شاملا للبشرية كلها ، بل للعالمين جميعا[٣] .

---

(٣) عبد الرحمن النجار : كلمات على طريق الايمان (القاهرة — المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية — دراسات في الاسلام — العدد ١٢٩ — ١٩٧٢) ١١ ، ١٣ .

ولذلك كان الاسلام هو العقيدة الوحيدة الباقية حتى الآن التى أحتفظت بسماتها ، فم يُمْتَهن بالتزييف ولم تُشَوه بالتحريف ، كما أن العقيدة هى عقيدة واقعية قادرة على إحداث تغيير جذرى في حياة المجتمع المسلم وذلك بعدة معالم : أولها : إستمداد تلك العقيدة من كتاب موثق ظل الى وقتنا هذا والى أن تقوم الساعة محتفظا بلهجة الوحي الالهي لم يُغَير منه حرف واحد ، بل لم تزد فيه نقطة واحدة ولا أي تعديل[٤] ، وثانيها : إسناد العقيدة الى كَونٍ واقعي واستمدادها منه الدليل على وجود الخالق جل وعلا وثالثها : أن تلك العقيدة تتعامل وتتفاعل مع الانسان على طبيعته فهو مادة وروح وعقل وقلب وعاطفة وحس وهذه العقيدة لمادته وروحه وعقله وقلبه وعاطفته وحسن ضميره ولمسجد ، ومجتمعه ولأخلاقة فهي شاملة ورابعها : أن هذه العقيدة تربط المسلم «بإله» قادر منفرد بكل خصائص الربوبية والألوهية وخامسها : أن هذه العقيدة تضمنت قضايا حيوية أبرز التطور الانساني صدقها وواقعيتها ومطابقتها للحق[٥] .

وهكذا جاء الاسلام مُتَمما لرسالات الله في الارض وسنرى كيف كان ذلك من خلال نظرة مقارنة :

ثانيا : حامل الرسالة سيدنا محمد خاتم النبيين ومعجزاته :

(٤) د . محمد حسين هيكل : حياة محمد (القاهرة - دار المعارف ١٩٨٣ ص ٣٨) .

(٥) توفيق محمد سبع : مرجع سابق : ص ١١٦ - ١١٨ .

إذا كان الرُسل يتصفون بعلو الفطرة وصحة العقول والصدق في القول والامانة في تبليغ ماعُهدَ اليهم والعصمة من كل مايشوه السيرة البشرية وسلامة الأبدان مما تنبو عنه الابصار وتنفرد منه الاذواق السليمة فانه يلزم الاعتقاد بأن الرسل ممدودة أرواحهم بمدد من الجلال الالهي لايمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليهم سطوة روحانية(٦) .

ولذلك جاءت معجزات الانبياء من جنس ما اشتهر عنه هذه الاقوام كما كانت المعجزة نفسها مؤقتة ، فهي تحدث مرة أو عدة مرات ، ويكفي أن يراها المُرسل اليهم ليعودوا لله تعالى اذا كان الله قد كَتَبَ لهم الهداية . أما الاسلام وهو دين عام ودائم ، فلقد جاءت معجزته مناسبة لهذا الوضع ، أي جاءت عامة ودائمة ، فالقرآن الكريم لايزال باسلوبه ومعانيه مُعْجزا ، ولايزال مُتَجددا يُقيم الدليل كل يوم على صحة رسالة محمد ، وقد سَمعته الأجيال الاولى فَدُهشت له وسمعته بعد ذلك أجيال وأجيال وتسمعه حتى اليوم وتقرؤه فَيخر البُلَغاء له ساجدين ويعترفون بأنه يسمع وحده وأن له نسقا لايطاول ولايداني(٧) .

فكيف لمحمد الأُمي أن يضع في حقبة قصيرة من الزمن

---

(٦) د . احمد شلبي : مقارنة الاديان ٣٠ الاسلام ، مرجع سابق ص ١١٤ .

(٧) د . احمد شلبي موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية (عالم الكتب القاهرة ٧٩) ص ٧ .

ألوانا من التشريعات عبرت القرون والأقطار وهى حية نامية تتفق مع كل زمان ومكان . والجديد في معجزات محمد عليه الصلاة والسلام ، بالاضافة الى خلودها ، أنها من طبيعة عمل الرسل ، فلقد كانت معجزة تتطلب استعمال العقل ، عكس المعجزات السابقة التى تشد العقول فلا تتيح للانسان فرصة للتفكير .

والاعجاز إفعال من العجز الذي هو زوال القدرة على الاتيان بالشيء من عمل أو رأى أو تدبير ، فالمعجزة باقية والخواص والعدم على درجة واحدة في العدم منها[٨] . فالمعجزة مُختصة بالنبي دائما وكل معجزة كانت لنبي من الانبياء كان مثلها لرسول الله ﷺ وان إظهارها له مُيَسرا مُسَلما ، وأفضل معجزاته وأكْملُها وأجَلُها وأعظمها القرآن الذي أنزل عليه بأفصح اللغات وأصحها وأبلغها وأوضحها وأثبتها وأبينها ، بعد أن لم يكن كاتبا ولاشاعرا ولاقارئا ولاعارفا بطريق الكتابة ، وتحدى الله خطباء العرب القرباء وبلغائهم وفصحائهم ان يأتوا بسورة من مثله فاعرضوا عن معارضته عجزا عن الاتيان بمثله ، فتبين ان هذه المعجزات اعجزت العالمين عن آخرهم[٩] .

(٨) مجد الدين بن يعقوب الفيروز ابادي : بصائر ذوي التمييز في الطائف – الكتاب العزيز : تحقيق محمد على النجار (القاهرة – المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – ١٩٨٦) ص ٦٥ – ٦٦ .

(٩) المرجع السابق ص ٦٧ – ٦٨ .

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء لأنه آخرهم وختام كل مشروب آخره قال تعالى ﴿**ختامه مسك**﴾ المطففين آية ٢٦ ، أي أن آخر مايجدونه منه عند شرابهم إياه رائحة المسك ، ولقد ذكر القرآن الكريم لفظ خاتم مضافا اليه النبيين فقال ﴿**ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما**﴾[١٠] وهذا معناه أنه ﷺ آخر الانبياء بعثا فلا نبي بعده وهو أمر لايُجَارى فيه إثنان ، كما قال الرسول ﷺ «إن الله زوي لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها» الى أن قال «وأنه سيكون في أمتى ثلاثون كذابا كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي» رواه ثوبان مولي الرسول كما روى أنس بن مالك رضى الله عنه قول الرسول «إن الرسالة والنبوه قد إنقطعت فلا رسول بعدى ولانبي» قال فشق ذلك على الناس فقال الرسول «لكن المبشرات» فقالوا يارسول الله وما المبشرات ، قال «رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة» صدق رسول الله[١١] .

وهكذا يتضح أنه لانبي بعد سيدنا محمد ﷺ . . ولارسالة بعد الاسلام فالرسول خاتم الانبياء والمرسلين .

---

(١٠) الاحزاب آية ٤٠ .

(١١) د . عبد الفتاح بركة : مرجع سابق ص ١٢٠ – ١٦ .

ثالثا : الاسلام دين البشرية جميعا

لم يُخَاطب الاسلام فئة أو شعباً بعينه وانما خاطب البشرية كلها ، فهو دين للناس كافة وللشعوب كافة ، ولقد وجه القرآن خطابه للناس جميعا حينما يذكرهم بنعم الله في قوله تعالى ﴿**ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**[١٢] . لأن نعم الله لاتخص أمة محددة ولكن للناس جميعا فيجب ألا يستأثر بها ويحتكرها فريق منهم لنفسه ويحرمها على الآخرين فيكون ظالما طاغيا مُبَدلا لشريعة الله[١٣] .

والاسلام قد جمع خلاصة الأديان السابقة وأذابها في بوتقته الصافية التي تُبْهر العيون والقلوب والعقول بجمالها وأحَالَ تعاليمه الى شراب سائغ فيه شفاء للناس حتى وجد فيه المنصفون من أبناء الديانات الأخرى ملاذهم من قسوة المادية الرهيبة التي أوشكت أن تعصف بالحياة[١٤] ، فالاسلام دين شامل وأن عقيدته توصف بالشمول لأنها تشمل الامم الانسانية جميعا ، كما تشمل النفس الانسانية بجملتها من عقل وروح وضمير ، فليس الاسلام دين أمة واحدة ، ولا هو دين طبيعة واحدة وليس هو للسادة المسلطين دون الضعفاء

---

(١٢) الآية ٢١ سورة البقرة .

(١٣) عبد المنعم خلاف : مرجع سابق ص ٢٨ .

(١٤) عبد الحفيظ فرغلي القرني : مرجع سابق : ص ١٣ - ١٩ (راجع) .

والمسخرين ولا العكس فقال تعالى ﴿**قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض**﴾[15] فهو عقيدة إنسانية شاملة لاتخص بنعمة الله أمة من الأمم لأنها من سلالة مختارة دون سائر السلالات لفضيلة غير مصلحة العمل والصلاح .

ولهذا ظل الاسلام دينا عاما شاملا للبشرية كلها بل للعالمين جميعا قال تعالى ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**﴾* يَهدي الانسانية في كل زمان ومكان لانها تَجدُ في ظلاله كل ماتريد في حياتها من أمن وطمأنينة وسعادة[16] .

ويقول شيخ الاسلام الدكتور عبد الحليم محمود[17] «من مميزات الاسلام الاصيلة ملاءمته لجميع الاجناس البشرية ، فلم يكن العرب وحدهم هم الذين اتبعوا الاسلام بل كان من ضمنهم من هو فارسي ونصراني ويهودي وحبشي ، فدين الاسلام اكد منذ الساعة الأولى لظهوره ، وفي حياة النبي أنه دين عام صالح لكل زمان ومكان ، واذا كان صالحا بالضرورة لكل جنس ، كان صالحا بالضرروة لكل عقل ، أو

---

(١٥) الأعراف آية ١٥٨ .

* سبأ آية ٢٨ .

(١٦) د . عبد الرحمن النجار - مرجع سابق ص ١٣ .

(١٧) د . عبد الحليم محمود : أوروبا والاسلام (القاهرة - مطابع الاهرام التجارية - ١٩٧٣) ص ١٩٥ .

درجة من درجات الحضارة ، يؤدي هداية وتوفيقا للعالم ، سواء في ذلك الأوروبي المتحضر والزنجي الاسود من غير أن يعوق حرية الفكر عند أحدهما» .

وهكذا. فالاسلام دين جميع البشر لافرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح ولافرق بين أبيض وأسود إلا الايمان بالله .

رابعا : الاسلام دين كل زمان :

الاسلام دين البشرية منذ فجر الوجود ، فالاسلام عنوان جديدة لحقيقة قديمة ، فهو في الحقيقة دين البشرية منذ آدم عليه السلام ، وكانت رسالة نوح ومن بعده من الانبياء هى الاسلام بمعنى إسلام الوجه لله واخلاص القرب له . ولقد كانت كل رسالة سماوية لاحقة تجيء مصدقة لسابقتها ومتضمنة لما يقتضيه التطور وتستلزمه البيئة ويدفع إليه الاصلاح ، وبهذا تأتي مجددة لها ونافضة عنها غبار الحياة لتسطع في أفق البشرية من جديد حاملة من المبادىء والتشريعات مايتلاءم مع الوضع الجديد ولقد عبر نبي الله نوح عن جوهر دعوته فقال ﴿**وأمرت أن أكون من المسلمين**﴾ آية ٧٢ سورة يونس «فالاسلام هو الجامعة الكبرى التى تلتقي الاديان على رحابها[١٨] . وينزلون على أحكامها ويتقبلون

(١٨) توفيق محمد سبع : مرجع سابق ص ١٦٣ – ١٦٥ .

ماتضمنه هذا الدين الجامع من مناهج الحق ووسائل الاسلام ، فالاديان السماوية قد بدأت بالاسلام وانتهت به .

ولقد كانت الاديان السابقة واقعية لأنها جاءت لفترات زمنية محدودة ولقوم معين فهي واقعية إقليمية محددة[١٩] . الزمان والمكان ولهذا لم تبرز لها أبعاد واقعية مختلفة أكثر من نزعتها الاصلاحية للمجتمعات والنفوس البشرية وليس معقولا أن يكون الكتاب الاخير في واقعيته كغيره من الكتب السابقة في نزعتها التطبيقية الواقعية ، إنه يزيد عليها بما يفرضه التطور الحتمي للحياة والتاريخ .

وبالفعل ، لقد ظهر التحريف الذي لحق بالكتب السماوية السابقة للقرآن فأذهب روعتها وشوهها وملأها بالخرافات والاكاذيب ولم يعد هناك من مصدر يمكن الاطمئنان اليه القرآن الكريم لأنه الوثيقة التاريخية المتضمنة للوحي الآلهي . والقران يمثل التاريخ في أصالة جوهرة وصدق قضاياه ولولا هذا الكتاب الخالد لما عرفنا شيئا عن ذلك ، فمن رحمة الله على البشرية أن بَقِّيَّ هذا القرآن سالماً محفوظاً لتقرأ في الاجيال كلها قصة الخليقة منذ فجر الوجود وقصة الاديان السماوية وصراع الحق مع الباطل لتأخذه العبرة وتستلهم العظة[٢٠] .

---

(١٩) المرجع السابق ص ١١ .

(٢٠) المرجع السابق ص ١٦٦ – ١٦٨ .

ويقول الشيخ الشعراوي في ذلك[21] : «إن الكتب التى نزلت على الرُسل السابقة كتب مناهج فقط . تحمل المنهج الالهي للرسول ليبلغه الرسول بلغة من عنده كما فعل رسول الله في أن بلغنا بواسطة الحديث ، أي أن الكتب السابقة تناولت معنى المنهج وجاء الرسل فبلغوا معاني المناهج ، فالنص في الكتب السابقة كان نص منهج فقط بينما النص في الاسلام ليس منهجا فقط وانما هو منهج ومعجزة ، والمعجزة من صنع الله فليس لبشر أن يتدخل فيها بأي شكل فالنص انما حوفظ عليه لأنه معجزة ، والمعجزة من خلق الله ولادخل لبشر فيها مطلقا ولذلك ستبقى الى آخر الدهر . وكذلك ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾* وهذا يؤكد أن القرآن لم يُستَحفظ عليه أحد ، فالحفظ من الذي أنزله ولكن الكتب السابقة كان الاستحفاظ مطلوبا ممن أنزل عليه ، فالله حفظ القرآن . . القرآن لأنه معجزة ولأنه منهج .

ويعدد د . أحمد شلبي أسباب مجيء رسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام عامة لكافة الناس في سببين هما[22] : أن الاتصال بين الامم السابقة كان غير موجود وأن

---

(٢١) محمد متولى الشعراوي : مرجع سابق ص.٢١ – ٢٢ .

* الحجر اية ٩ .

(٢٢) راجع في ذلك د . احمد شلبي : مقارنة الاديان . . الاسلام ص ١١٠ – ١١٢ .

كل أمة كانت تعيش في عزلة أو شبه عزلة عن الأمم الاخرى وسبب العزلة في اختلاف درجة الثقافة بين الامم المختلفة . ولكن إنتفى هذان في الاسلام لتداخل المواصلات واتصال الامم واقتراب الثقافات وبالتالي كان ذلك ايذانا بارسال رسول واحد لجميع البشر كما جاء في الآيات سبأ ١٠٨ ، الاعراف ١٥٧ والفرقان الآية الأولى ، والانبياء الآية ١٠٧ والاحزاب الآية ١٠ . . . الخ ، كما ان الله لم يرسل سيدنا محمداً الى الناس كافة ورحمة فحسب ، وانما جاء ليبشر بدين واحد للناس أساسه الايمان برسول كل أمة من أمم الارض ، وهذا أمر لايدفعه الناس حيث انه يدعو الى المساواة والوحدة بين جميع الامم .

إذن قد جاء الاسلام مصدقاً ومهيمناً على الرسالات السماوية السابقة للأنبياء والرسل السابقين إلا ما أراد الله أن ينسخه من شرائعهم وأحكامهم كما ثبت ذلك من القرآن والسنة المطهرة كما قال تعالى في سورة الشورى آية ١٣ **﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه﴾*** ، فتمثل بذلك وحده الوجود الانساني ووحدة العقيدة ووحدة الفكر من أزل الوجود الى أبده ، سُنَة الله تعالى ولن تجد لسنته تبديلا ، فهو الدين الالهي ولادين

* الشورى آية ١٣ .

غيره ، دين ابراهيم واسماعيل واسحاق وموسى وعيسى ، وهو دين محمد ، وما كان محمد إلا خاتم الانبياء وما كانت رسالته إلا ختام الرسالات جميعا ، ﴿**إن الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب**﴾ ، آل عمران – آية ١٩ فالاسلام هو عقيدة السماء(٢٣) ، منذ بعث الانبياء الى البشر وهو رسالة الى الناس كافة على لسان أنبيائه .

وهكذا ، فان الاسلام دين كل زمان منذ نوح عليه السلام حتى الآن وسيظل كذلك الى يوم البعث حتى أن الانبياء من قبل قد جاءوا بدين الاسلام حتى إختتم النبي محمد الرسائل السماوية بالدين القيم ليظل دين البشرية أبَدَ الدهر .

لقدْ جاء الاسلام بتعاليم ربانية وبمنهج سوف نراه تفصيلا في الفصل القادم ، ولكن الاسلام خاطب منذ يومه الأول إنسان المستقبل وعالم الغد فتنبأ القرآن بهزيمة الفرس وانتصار الروم إنتصارا ساحقا وتنبأ بفتح مكة قبل الفتح بعدة أعوام ومازال القرآن يثبت كل يوم بأن به جديد وجديد فهو أول من أثبت أن الارض كروية وهو الذي وضع حقوقا للانسان لم يستطع العالم الوصول اليها في القرن العشرين .

فاذا كانت رسالة الاسلام قد جبت ماقبلها ، فقد حوت

---

(٢٣) حسين فوزي النجار : الاسلام والسياسة (مرجع سابق) ص ٩١ – ٩٢ .

رسالة الاسلام مافي الرسالات السابقة من مبادىء ، وزادت عليها ماتحتاجه البشرية في كل جوانب الحياة طوال مسيرتها المديدة الى يوم الدين .

كما أن الشريعة الاسلامية باقية بقاء الانسان ، لأنه لاينتظر نبي آخر ، مايمكن معه إنتظار شريعة اخرى لأن الله لم يحرم البشرية من أنوار هدايته[٢٤] ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ النساء آية ١٦٥ ، فجعل الله الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع وجعلها في متناول الجميع الى يوم القيامة وجعلها هداية كاملة متكاملة لا تقبل تغييراً أو تبديلا ، لا في مجموعها ولا في باب من أبوابها وذلك من ناحيتين :

الاولى : أن الشريعة الاسلامية قد اكتملت فلم تعد في حاجة الى تكميل ولا تتميم ، وأن تغيير الكامل لايكون إلا بالنقص منه ، سواء زدت فيه أو نقصت منه فهو نقص من كماله .

الثاني : إن الذي يملك التغيير والتبديل هو الشارع الذي شرَّعها بنفسه ، فلقد أخبرنا بكمالها وتمامها ، فلا يُنْقصها بعد ذلك ، ورضيها فلا يسخطها أبدا ، كما أخبرنا أن باب النبوة قد أغلق وخُتم ، فلم يعد هناك إحتمال نبوة اخرى يحق لها النسخ ولا التشريع ، ويستوى في ذلك مجموع الشريعة وأجزاؤها .

---

(٢٤) د . عبد الفتاح بركة : مرجع سابق ص ٤١

وبهذا ، فان الاسلام هو عقيدة السماء وهو رسالة الى الناس كافة على لسان أنبيائه . وأن الاسلام هو أمل الغد لأنه وحده العقيدة الدينية التى رضىً الله عنها وأكمل نزولها وحفظها الى يوم البعث ، وهذه العقيدة تقوم على وحدة العقل ووحدة الوجود الانساني[٢٥] . . وسيظل الاسلام هو الأمل وهو النور وهو المصباح الذي يضيء للعالم كله غده ويومه لأنها عقيدة خالدة متجددة دوما بنصوصها فالاسلام حقا هو دين المستقبل بكل المقاييس وهو صالح لكل زمان ومكان .

---

(٢٥) حسين فوزي النجار : مرجع سابق ص ٩٣ .

الفصل الثالث
الاسلام شريعة الأمل العالمي

الاسلام شريعة الأمل العالمي

تناولنا كيف جاء الاسلام بشريعة شَملت الوجود الانساني كله ، ففيها المرونة والحكمة مايُسَاير الوجود الانساني في كل زمان ومكان وان لم يضع نظاما للدولة ولم يأخذ بنظرية للحكم ، إلا أن الادارة التى قامت عليها الجماعة الاسلامية الاولى ، ثم ما جاءت به الشريعة من مبادىء السلوك وقواعد المعاملات والعلاقات الاجتماعية والشورى . . كل ذلك أدى الى أن يكون الاسلام شريعة الوجود في كل زمان ومكان .

ولقد وضع الاسلام من القواعد ماتستقيم به الحياة على أي نمط سَوي لايبغي من ذلك غير خير الحياة وخير الانسان ، وأول مانستشفه من تلك القواعد صفاء جوهرها وصدقها وأنها تبغي توقير الحياة واعلاء الكرامة الانسانية وأنها أوفت لهما على الذروة من خلال الحق وتقديس الحياة[1] . ثم ان الاسلام وضع قواعد لاتتصادم مع نواميس الكون ولا مع نظام الحياة ولامع نظرة الناس وهذا ماسنراه الآن من خلال هذا الفصل .

اولا : حقوق الانسان في الاسلام :

الاسلام ينظر الى حقوق الانسان على انها ضرورات

---

(١) د . حسين فوزي النجار : مرجع سابق ص ٩٥ - ٩٦ .

لاستمرار الجوهر النقي للانسان ، وسبق الاسلام النظم الوضعية التى لم تدرك جوهر حقوق الانسان الا بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٨ بصدور الاعلان العالمي لحقوق الانسان[٢] .

واذا كانت الحقوق الانسانية في الاسلام ضرورة فهى ضرورة فطرية للانسان من حيث هو إنسان واسلامنا هو دين الفطرة التي فطرنا الله عليها فمن الطبيعي أن يكون الكافل لتحقيق هذه الحقوق[٣] .

بل أن الاسلام يُقَدس هذه الضرورات الانسانية الواجبة الى الحد الذي نراها الاساس الذي يستحيل قيام الدين بدون توفرها للانسان ، فعليها يتوقف الايمان ومن ثم التدين بالدين والتمسك بالأسلام .

ومن هذه الحقوق التى يقدسها الاسلام :

١ - ضمان الحياة وكرامة البشر : فلقد أعلى الاسلام من شأن الحياة وكرامة البشر وذلك بأن تقوم السياسة على

---

(٢) راجع : محمد عبد الشافي اللبان : حقوق الانسان المعاصر (القاهرة - هيئة الاستعلامات - بدون) .

(٣) د . محمد عمارة : الاسلام وحقوق الانسان (الكويت - عالم المعرفة - العدد ٨٩ ، مايو ٨٥) ص ٧ .

أسس ثابتة عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم وهما أسس تَرقى الى درجة الالتزام ، وان لم يُشر الاسلام الى نوع من التنظيم السياسي أو الاداري الذي تقوم عليه ، فلأنه لم يشأ أن يُلزم الناس بنظام ثابت لايجوز مخالفته حتى لايكون حجة من بعد[٤] ، فالنظم تتغير وفقا للزمان والمكان ، أما الروح التى تحكم هذه النظم فهى الباقية وهى المُلزمة وهى الروح التي يقوم عليها الفلسفات السياسية في كل العصور على اختلاف تنظيماتها ، إذ لايختلف عليها إنسان لانها تنشد خير الانسان وصالح الجماعة الانسانية .

وكرامة الانسان في الاسلام من كرامة الاسلام ذاته فلا يمكن أن يحتقر إنسان مسلم ولا أن يُهَان ، فالكرامة كرامة إنسانية عامة[٥] .

٢ - حرية الارادة : الأسلام يعترف بحرية كل فرد

---

(٤) د . حسين فوزي النجار : مرجع سابق ص ٩٩ .

(٥) ويرى د . عبد الله شحاته في كتابه علوم الدين الاسلامي «أن الاسلام جاء والكرامة الانسانية وقف على طبقات معينة وعلى بيوت خاصة وعلى مقامات معروفة ، أما الجماهير فلا وزن لها ولاقيمة فقال الاسلام كلمته المدوية أن كرامة الانسان مستمدة من إنسانيته لأن أي عرض آخر كالجنس أو اللون أو الطبقة أو الثروة أو المنصب أو غيرها من تلك الاغراض الزائلة والحقوق الاصلية للانسان مستمدة من تلك الانسانية . ولقد كرم الله الانسان فخلفه بيده ونفخ فيه من روحة وأسجد له الملائكة وميزه بالعقل وبالفكر والارادة ، والاختيار فقال تعالى **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا﴾** الاسراء آية ٧٠ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

وبالتالي يعتبره مسؤولا شخصيا عن أفعاله كما قال تعالى **﴿ولاتكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**[٦] ، فليس هناك إلا حرية واحدة تُهَيمن على حرياتنا وهى حرية الله المطلقة ، بيد أن الله قد نظم العالم طبقا لقوانين ربانية قادرة على فهم الانسان[٧] .

وتختلف الارادة الحُرة في الاسلام عنها في الفكر الغربي والشرقي ، فيذهب الفكر الاسلامي الى تقرير المسؤولية تبعا للارادة الحرة والادراك الكامل لعلاقة الانسان بالكون وهى علاقة أزلية غير خاضعة للزمان والمكان ، والارادة الانسانية حرة ، والانسان مسيطر مطلق في نطاق وجوده المحدود[٨] . وقد زانه الله بالعقل **﴿بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾** القيامة آية ١٤ ، ١٥ .

وخلاصة القول بأن الحرية في الاسلام هى «ضرورة إنسانية واجبة» وفريضة إلهية بغيرها لن تتحقق حياة الانسان كانسان وهى واجبة لتحقيق وصيانة الحياة التى هى واجبة . كما أنها فريضة إلهية وتكليف واجب على الانسان يستلزم حريته واختياره[٩] .

---

(٦) الانعام اية ١٦٤ .

(٧) د . محمد عزيز الجبالي : الشخصانية الاسلامية (القاهرة - دار المعارف - ٨٣) ص ١٣٣ .

(٨) د . حسين فوزي النجار : مرجع سابق ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٩) راجع في ذلك د . محمد عمارة : مرجع سابق ص ١٨ - ٣٠ .

٣ - **المساواة والعدالة** : لايقف الاسلام ضد التقدير الاجتماعي ، ولم يُعْرف عنه أنه إتخذ جانب السلطة ضد الفقراء والكادحين ، بل كان عونا لهم على حقوقهم فأنصفهم قبل أن يَنْصفوا أنفسهم ومن القضاء من وقف في الحق لضعيف ضد الخليفة نفسه ، وأنكر الاسلام الطبقية حين نبذ القبلية والعنصرية والتفاخر بالانساب والاحساب والجاه وسعة الرزق ، والاسلام لم يُنْكر التفاوت في المآثر وفي التمييز العقلي والخلقي ، ولكنه سَوىً بين الناس جميعا في إخوة إسلامية جامعة ، ونَبَذَ القبلية والشعوبية ونادى بالدولة العالمية التى تَسود فيها شريعة الحق وقوض تراكم رأس المال والملكية الخاصة بما قرره من أحكامها وسدد ضربة قاضية للرق ، فلم يكن من اليسير في عالم تغلغل الاسترقاق في كيانه تحرير الارقاء تحريرا كاملا ، ولكن الاسلام وضع السُنَنْ لتحرير الرقيق والقضاء على تلك العادة المرزولة(١٠) .

وأيضا جاء الاسلام وأعلن المساواة التامة بين البشر وحرر الكادحين من ظلم المستغلين وقضى على الفروق الطبقية والتمايز العنصري والديني وجعل الناس سواء أمام القانون وأمام شريعته وعلى درجة عظيمة من المرونة والبساطة والقدرة على التطور تبعا لتطور الحضارة وتقدمها .

وينظر الاسلام الى وحدة الوجود الانساني بصفتها مجتمعا

---

(١٠) د . حسين فوزي النجار : مرجع سابق ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

إنسانيا واحدا تسوده المساواة والعدالة ، كما تسوده وحدة الضمير ووحدة الاخلاق ولايكتمل هذا المعنى في أي رسالة

وأيضا جاء الاسلام وأعلن المساواة التامة بين البشر وحرر الكادحين من ظلم المستغلين وقضى على الفروق الطبقية والتمايز العنصري والديني وجعل الناس سواء أمام القانون وأمام شريعته وعلى درجة عظيمة من المرونة والبساطة والقدرة على التطور تبعا لتطور الحضارة وتقدمها .

وينظر الاسلام الى وحدة الوجود الانساني بصفتها مجتمعا إنسانيا واحدا تسوده المساواة والعدالة ، كما تسوده وحدة الضمير ووحدة الاخلاق ولايكتمل هذا المعنى في أي رسالة سماوية كما اكتمل في الاسلام ولدينا في التاريخ الاسلامي آلاف الآلاف من المواقف التى نبذ فيها أي إخلال بمبدأي المساواة والعدالة فظلت أُسس راسخة من دعائم المجتمع الاسلامي بل أصبحت العدالة على اغلب الكتاب القيمة العليا في المجتمع الاسلامي التى تَخْرُج منها كافة القيم الاخرى[11] .

ومما سبق يتضح أن الاسلام جَبَّ بمبدأ المساواة أي تمايزه يمكن أن يدعيه الانسان على الانسان إلا في التقوى ، أما الاخاء الاسلامي فهو أكثر إتصالا بما تعنية وحدة الوجود

---

(١١) راجع د . حامد ربيع : نظرية القيم السياسية (نهضة الشرق – القاهرة – ٧٣) ص ١٠١ .

الانساني ، فالاخاء الانساني لايقف بمدلولة ضد الحدود المألوفة للمعنى الدارج من حيث التكامل والتعاون بين الناس على السواء ، ولكنه يتخطاه الى المعنى الرحب الفسيح في الاخوة البشرية على المستوى الانساني العام[١٢] .

والظُلم في الاسلام رزيلة اجتماعية كبيرة تفوق في آثارها الممتدة الكثير من الفواحش ، كما أن حدود العدل الاسلامي لايقف بها الاسلام عند القانون وانما هو شامل للحياة المادية والاجتماعية ، والعدل كضرورة انسانية واجبة على كل مسلم ، كما أن العدل الاجتماعي واجب وفريضة وليس مجرد حق من الحقوق[١٣] .

٤ – التوازن بين المصلحة الخاصة والعامة : بعض النظم السياسية تعطى الفرد من الحريات مايطغى به على مصلحة المجموع ، وبعضها يعطى المجموع مايطغى به على النشاط الفردي . ولكن الاسلام يعطي الفرد حقه والجماعة حقوقها وينسق بينهما خير تنسيق وهو بهذا يكفل جميع أنواع الحريات في تنظيم دقيق يشمل حرية المُلك والعقيدة والمسكن والنقل . .[١٤] الخ .

---

(١٢) د . حسين فوزي النجار : مرجع سابق ص ٩٣ ، ٩٥ .

(١٣) راجع في ذلك د . محمد عمارة : الاسلام وحقوق الانسان : مرجع سابق ص ٥٥ – ٦٨ .

(١٤) محمد الغزالي : مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة : (القاهرة – دار الكتب الاسلامية – ٨٥) ص ٣١٢ .

كما أن الاسلام يخاطب الناس كافة **﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾*** وواضح حرص القرآن على مخاطبة الناس جميعا ويذكرهم بنعمة الله الاساسية خصوصا وأن هذه النعم مشاع بين الناس جميعا فلا يجب أن يستأثر بها ويحتكرها أفراد لأنفسهم ويحرمون الاخرين فيكونون ظالمين طاغين مُبَدلين للاوضاع العادلة التى أرادها الله للناس جميعا[١٥] .

والاسلام يدعو للمواءمة بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة ، فالاصل المصلحة الخاصة بشرط الابتعاد عن ثلاثة ترمز للضرورة : الماء والكلأ والنار وهى مشاع بين جميع الناس ومثلها أي حاجات ضرورية . ومن هنا فان المصلحة الخاصة التي لاتختلف مع المصلحة العامة ضرورة مقدسة للانسان وحق من حقوقه بدون غبن المصلحة العامة أو إنتقاص حقوق الآخرين[١٦] .

---

* البقرة الآيات ٢١ ــ ٢٢ .

(١٥) عبد المنعم خلاف : مرجع سابق ص ٢٨ .

(١٦) راجع : العقاد : الانسان في القرآن (القاهرة – دار الاسلام – ٧٣) ص ١١٩ .

٥ - حقوق أخرى[١٧] باختصار شديد :

الشورى : وفيها الامة وبها مصدر السلطات في الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران والشورى فلسفة الحكم الاسلامي ومنهج سياسة الرعية وطريق السلوك السوى للفرد والاسرة والمجتمع وهي فريضة إلهية وضرورية شرعية .

القصاص : من قتل نفسا فكمن قتل الأنفس جميعا وأصبح على الجماعة الاسلامية أن تقتص للقتيل وتوقع العقاب على القاتل وما من دم يذهب هدرا في الاسلام والقصاص يؤدي الى توفير الحياة البشرية وأصون للنظام الاجتماعي .

الحرية الدينية : لايُكْرَه أهل الديانات أو المشركون على الدخول في الاسلام فلا إكراه في الدين . وهذه حرية ليست مباحة أو متاحة في أي عقيدة أخرى .

الحرية الفكرية : دعا الاسلام الى التفكير في كل شيء حتى في خلق السموات والارض والانسان وذلك من منطلق أن العقل خاصة الانسان وامتيازه وشرفه ولان التفكير فطرة الانسان وعمل العقل ورسالته .

---

(١٧) راجع في ذلك : د . محمد عمارة : الاسلام وحقوق الانسان (مرجع سابق).
انور الجندي : احاديث الى الشباب في ضوء الاسلام (سلسلة دراسات في الاسلام - العدد ١٦٥ - ١٧٤) ، ذكريا البري : حقوق الانسان في الاسلام (بدون - القاهرة - المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية) ، د . رؤوف شلبي دبلوماسية الدعوة الاسلامية (القاهرة - المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية - فبراير ٨٦) ، د . عبد الغني عبود : الانسان ، وفي الاسلام والانسان المعاصر (القاهرة - دار الفكر العربي - ٧٨) .

الى غيرها من الحقوق التى يتمتع بها الانسان في ظل الاسلام . .

ثانيا : الاقتصاد الاسلامي :

أعطى الاسلام للانسان جميع الحقوق الاقتصادية منها حق العمل وحق الكسب والسعي في الحياة وحق التملك وغيرها من الحقوق .

وينبع النظام الاقتصادي في الاسلام من ارتباطه الوثيق بالفلسفة الفكرية والاجتماعية الاسلامية ، وهى فلسفة – كما أسلفنا ، تقوم على أساس الاستجابة للفطرة الانسانية ، مع تهذيبها والاتجاه بها الى الاعتدال ، فبينما تقوم المجتمعات الرأسمالية على أساس أن الفرد كائن مقدس لايجوز للمجتمع أن يمس حريته ، ولهذا تُبَاح فيها الملكيات الفردية بلا حدود ، وبينما تقوم المجتمعات الشيوعية على أساس أن المجتمع هو الاصل ولاكيان للفرد وحده ولهذا تضع الملكية في يد الدولة ممثلة المجتمع وتحرم منها الافراد[١٨] ولكن الاسلام يرى الانسان ذا صفتين في نفس الوقت ، صفة كفرد مستقل وكعضو في الجماعة والاسلام لايفصل بين الصفتين ولايجعلهما نقيضين وانما يوازن بين النزعتين ، النزعة الفردية

---

(١٨) راجع في ذلك : فتحي رضوان : الاسلام والمذاهب الحديثة (القاهرة – سلسلة اقرأ – العدد ٤١٥) .

والنزعة الجماعية دون أن تَجور إحداهما على الاخرى ، كما يوازي بين مصالح كل فرد وغيره من الافراد الذين يكونون المجتمع .

ومن ثم فان إقتصاديات الاسلام تمثل هذه النظرية المتوازنة المعتدلة التى تقع بين الرأسمالية والشيوعية وتلتقي بأفضل مافي النظامين دون الوقوع في إنحرافاتها فيهي تُبيح الملكية الفردية من حيث المبدأ ولكنها تضع لها الحدود التى يمتنع بها الضرر وتبيح للمجتمع أو ممثله أن يسترد هذه الملكية أو يُعَدلها أو يُحَددها كلما حقق ذلك مصلحة المجتمع[19].

ولهذا فان الاسلام لايضيق بالملكية الفردية مادام يملك إلغاءها أو تعديلها في وقت الحاجة الى ذلك ، ولهذا أيضا فان وجود الملكية الفردية مع وجود حق الدولة في السيطرة عليها خير من إلغائها بتاتا لأن الإلغاء يتصادم مع فطرة الانسان ومن ثم فاباحتها واناطة تحديدها لحكم الظروف المحققة للمصلحة العامة لهو خير للفرد والمجتمع على السواء . ولهذا فان الملكية الفردية لايمكن أن تؤدي الى الرأسمالية أو الاقطاع في الاسلام وهذا سر روعة النظام الاقتصادي الاسلامي[20] .

---

(١٩) د . النعمان عبد المجيد القاضي : الاسلام عقيدة وحياة (مرجع سابق ص ٩٠ - ٩١) .

(٢٠) المرجع السابق ص ٨١ - ٨٥ .

ومما يمتاز به الاقتصاد الاسلامي أن الرؤية الاسلامية تنظر الى النشاط العمراني في كل ميدان من الميادين على أنها وحدة ومنفعة للانسانية في ميدان الزراعة وفلاحة الارض والتصنيع والتجارة واستثمار الاموال ورسم المنهج السديد ليسير الناس عليه . وهو العمل الدائب في سائر مجالات الحياة ، فليس من هدى الاسلام أن يتواني الانسان ويكسل ولايسعى ولايعمل وهو قادر على السعي والعمل ثم يَزْعُم أنه مُنْقَطع للعبادة[٢١] ولذلك فلا رهبانية في الاسلام لأن العمل والكدح هما في الاسلام عبادة لاتقل عما سواها من العبادات ، ولأن الاسلام دين الفطرة والطبيعة ، والاتجاه للرهبنة والتبتل يُعَطل مامنحه الله للانسان من قوي التفكير والارادة والعمل[٢٢] . كما يُبْقى ذلك أسرار الكون ومنافحه كامنة ، وقد سخرها الله جميعا للانسان وسلطه عليها ومهد له الطريق لاظهار عمارة الكون **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** التوبة آية ١٠٥ ، **﴿وأن ليس للانسان إلا ماسعى﴾** النجم ٣٩ .

كما أن الدنيا في التصور الاسلامي الصحيح مزرعة للآخرة ، فلا تصلح آخرة إمرىء إلا اذا صحت دنياه ،

---

(٢١) د . عبد الرحمن النجار : كلمات على طريق الايمان : مرجع سابق ص ٣٣ - ٣٥ .

(٢٢) د . احمد شلبي : الاسلام : مرجع سابق ص ١٣٨ - ١٣٩ .

وسنُحاسب في الآخرة على التفريط في إصلاح الدنيا . فالعمل الطيب في الدنيا وسيلة لصلاح حياة صاحبه في الآخرة كما هو وسيلة لصلاح دنياه[٢٣] .

كما إهتم الاسلام بالناحية المادية لدى المسلم كاهتمامه بالناحية الروحية ، فداعانا الاسلام الى الاهتمام بزينتنا ، **﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾** الاعراف ٣١ – ٣٢ . كما قال تعالى **﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾** البقرة ٥٧ ، وذلك ينبع من طبيعة الحياة الدنيا لأنها دار جمال وزينة ومتاع بكل طيب مع إمتزاج متاعها بشيء قليل من أسباب الالم والخوف والجوع لتكون في وضعها الذي أراده الله داراً للابتلاء والاختبار وبهذا يجمع بين الاجسام والارواح ، والدنيا والاخرة والماديات والمعنويات ، وبهذا يظل الاسلام أكمل دين يَصْلُح للانسانية جمعاء ويواءم بين جميع الظروف والبيئات المختلفة ويساير طبيعة الانسان[٢٤] .

كما طلب الاسلام من الناس ألا يقعوا تحت تأثير المال

---

(٢٣) لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع راجع : عبد المنعم خلاف : المادية الاسلامية : مرجع سابق ص ١٦ – ١٨ ، د . عبد الهادي النجار : الاسلام والاقتصاد – الكويت – سلسلة عالم المعرفة – عدد ٦٣) ، منى رضوان : الاسلام والمذاهب الحديثة – مرجع سابق .

(٢٤) محمد الغزالي : مع الله : مرجع سابق ص ٣١١ .

لأن المال مجرد وسيلة للحياة وليس هدف وغاية منها وانه زينة للحياة الدنيا ويمكن أن يكون وسيلة لرفاهية المجتمع كله ، فصاحب رأس المال مُوكْل من قبلْ الحق عز وجل لادارة هذا المال ولذا عليه أن يقوم بسداد حاجة المجتمع من هذا المال عن طريق الزكاة كفريضة وغيرها من الصدقات .

ولقد نبع الموقف الاقتصادي للاسلام من أن القرآن قد قرر مايعرفه الله من طبيعة الانسان ومن تسلط الشهوات عليه ومن حبه للمال ومباهاته به وحرصه على جمعه وكرها للانفاق منه . وأمر الاسلام بنظام كامل للمواريث حتى لاتُهْضَم حقوق جميع الأهل والعائلة والاسرة ، كما حرم الربا تحريما قاطعا وهذا الحكم كاف لاقامة نظام إقتصادي قائم بذاته .

ورغم كل ذلك فان النظام الاقتصادي الاسلامي يشمل أُسس ثابتة راسخة نحو المجتمع المستقر والمتقدم دائما ، وهذه الاسس ثابتة ولكن هناك متغيرات كثيرة قابلة للتطور طبقا لمتغيرات الانسان في كل زمان ومكان في نطاق الأسس الاقتصادية الاسلامية .

ثالثا : الاخلاق الاسلامية :

جاء الاسلام بمجموعة من الاخلاقيات التى تُنَظم حياة المسلم وتعطي القدوة الطيبة والقيم الاصيلة التي تصنع

مجتمعا مستقرا فالاخلاق الاسلامية جاء الاسلام بها من أجل سمو وارتقاء الحياة الانسانية ، وهى مما تتميز بها الحياة عن الدنايا والشرور ويستقيم عليها أدب النفس وأدب السلوك والقرآن حافل بما تتحلى به النفس من قيم الاخلاق وبما يجب أن يكون عليه سلوك البشر وبالنهي عما يجترح هذه القيم أو ينال منها أو يتطاول عليها أو يخدشها أو يكون سببا من أسبابها أو يؤدي اليها ، كما نهى عما يسيء الى البدن حفاظا على الصحة وعما يسيء الى العقل حفاظا على سلامة الادراك . والحضارة الاسلامية لاتقوم على أسس سليمة إلا بهذه الاخلاق ، فالرحمة والبر والتعاطف والحياء والتواضع والفضائل على أنواعها أقام لها الاسلام المعايير وقاس عليها سلوك الانسان أمام الله وأمام الناس[٢٥] . كما أن الاخلاق الاسلامية مما يتواءم مع الحياة الدنيا ومما يقوم عليها مجتمع إنساني سليم فليس فيها إغراق أو تطرف يحملها إلى عالم التجريد وليس فيها ما يحمل الانسان فوق طاقته ، وانما هى من واقع حياة المسلم مايستقيم معها حياته على الخير ويستقيم بها عقله على الايمان ، إذ جمع الاسلام بين المثالية الرفيعة والواقعية التى تتفق مع العقل ، فلا يغفل الطبيعة البشرية ولايسرح في تهويمات ضالة ملتوية بعيدا عن الحقيقة

---

(٢٥) د . حسين فوزي النجار : الاسلام والسياسة : مرجع سابق ص ٣٢١ - ٣٢٥ .

والواقع ، بل ينشد السمو بالانسان الى ذروة الكمال المطلق ، ولكن إذا حقق ماينشد إذ حاول تحقيقه ، يعلم تماما أن الانسان قد ميل على النقص ، فقال بمعاقبة المُسىء مثل ماعاقب به ثم رغب أشدّ الترغيب في العفو عن المسيىء والاحسان اليه ، ودرء السيئة بالحسنة في قوله تعالى ﴿**وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم**﴾[٢٦] .

واذا أردنا أن نلتمس عبارة جامعة للاخلاق الاسلامية إلتمسناها في قوله تعالى ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**[٢٧] ، ولذلك تُلهمنا الاخلاق الاسلامية عما يمكن أن نسميه ثقافة أخلاقية بصفتها أساسا لأدب النفس والسلوك وأساسا لحضارة إنسانية تقوم على التزاوج بين الروح والعقل ، فحيث يسمو الخلق الاسلامي بمبادئه الى اعلى ماينشده الانسان من المثالية الروحية ، نراه يوفق بين ماهو أبدى وماهو متغير .

فالأخلاق الاسلامية تقوم على المحبة ومبناها الاخوة والعدل ومبناه المساواة والرحمة ومبناها الاحسان والتعاطف والصبر والأمر بالمعروف ومبناها حب الخير للآخرين والنهي عن المنكر ومنفاها كل مايسيء الى النفس والى الاخرين[٢٨] ،

---

(٢٦) التغابن آية ١٤ .
(٢٧) آل عمران آية ١١٠ .
(٢٨) د . حسين فوزي النجار : مرجع سابق ص ٢٠٦ .

قال تعالى ﴿**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾[29] .

وتَنْبع الاخلاق الاسلامية من معنى الاسلام الذي يتمثل جوهرة في الصدق مع الله وصدق مع النفس وصدق مع جميع البشر وأنه دين سهل لا إلتواء في دعوته ولاتعقيد فهو دين الفطرة طبيعته اليسر والتسامح ، جَمَعَ المؤمنين به على التعاون والتراحم والتكافل ، كما دعا الى التحرر والمساواة ونُصْرَة المظلوم ونادى بالمحافظة على النفس وحمايتها ، كما نادى بالمحافظة على الأسرة وترابطها وحث على كل نواحي الخير للانسان .

ومن الأخلاق الاسلامية التسامح ، فلقد كان للتسامح الفضل الأول في إنتشار الاسلام وسيكون لهذا التسامح الآن الفضل نفسه في عودته ليقوم برسالته التى هيأها الله تعالى حيث اختاره دينا للبشرية[30] .

ومن هذه الاخلاق الرحمة التى تعم ولا تخص ، ومن قول الرسول عليه الصلاة والسلام «من لايرحم لايرحم» ومن الرحمة بالمجتمع أن تقف غرائز الشر فلا تتجاوز عقالها الى الاضرار بالنفس أو بالمجتمع ، وليس أردع للشر من القصاص

---

(٢٩) سورة النحل آية ٩٠ .

(٣٠) عبد الحفيظ على القرش : مرجع سابق ص ١٠ ، ٤٥ .

فانه أصون للمجتمع وحقوقه ولحرية الفرد وواجباته .

كما كان الاسلام مراعيا للفطرة البشرية ولحاجات المجتمع ولأخلاقه عندما خصص المرأة لوظيفتها الأولى التى خلقت من أجلها وحمل الرّجل أعباءها لتتفرغ دون قلق على عيشها بكل جهودها وطاقاتها لرعاية الانتاج البشري وتنشئته على الاخلاق الفاضلة لأن البشر كنز ثمين ، وأحاطها في هذه الوظيفة بأرفع سمات التكريم والتقدير فجعل الجنة تحت أقدامها وجعلها أولى الناس بحسن صحابة الأبناء وحقق لها المساواة الانسانية في الكرامة البشرية واستقلالها الاقتصادي وحرية التعامل المباشر مع المجتمع وحق التعليم بل وجعله فريضة عليها . . . كل ذلك مادامت تتمتع بالاخلاق التى أقرها الله للمرأة[٣١] .

ثم بلغت الاخلاق الاسلامية أقصاها مع الاعداء والمعاملة التى فرضها الاسلام على المسلم في تعامله مع غير المسلمين ، حيث حث الاسلام على معاملة غير المسلمين معاملة عادية فقال تعالى **﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين﴾** (سورة الممتحنة – آية ٨) كما أباح الاسلام للمسلمين أن يأكلوا طعام غير

---

(٣١) لمزيد من التفاصيل : منصور الرفاعي عبد : المرأة (القاهرة – دراسات الاسلام – ١٧٨) النعماني القاضي – مرجع سابق ص ٦٨ .

المسلمين وأن يصاهروهم قال تعالى ﴿**وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**﴾ المائدة آية ٥ .

كما نهى الاسلام عن قتل الاطفال والشيوخ وانتهاك حرمة صوامع الرهبان ومحاربة النساء ومحاربة القرى دون إنذار وحرق المزروعات وقطع الاشجار والنخيل . . . الخ من هذه الاخلاق الفاضلة والتى يعطينا التاريخ الاسلامي الآف النماذج منها في حروب الاسلام وهى حروب أخلاقية في المقام الاول[٣٢] .

رابعا : العلم والعقل والتفكير في الاسلام :

اذا كان القرآن الكريم كان نصحا وتشريعا وقصصا وتوجيها في صيغ من الأمر والنهي ، فلقد جاء القرآن مصحوبا بالدعوة الى التعقل والتنويه بالفكر والاشادة بالتدبر والتقدير للعلم والعلماء. وتقريع الجهال ولسخرية ممن لايفكرون . والعلم الذي يشيد به القرآن ليس مقصورا على نوع من العلم معين ، وليس التفكير الذي يهب به القرآن محصورا في نظام محدد من المعرفة ، لأن العلم الذي ينوه به

(٣٢) د . احمد شلبي : الاسلام مرجع سابق ص ١٧٠ ومابعدها .

القرآن الكريم عام يشمل أنواع العلوم كلها ، والتفكير الذي يدعو اليه القرآن الكريم فسيح يتسع لألوان التفكير كله لأن ثمن القرآن الكريم كله تقريبا آيات متصلة بالعلوم عامة والبقية عقائد وعادات وتشريع وتاريخ واخلاق .

ولاغرابة في اهتمام القرآن الكريم بالعلم والفكر والعناية به هذه العناية ، لأن العقل هبة من الله ينميها التفكير يغذيها القلم ويرقيها إستخدامها فيما خلقت له لتهدي الى الحق والخير ولتدفع الى الاقرار بوحدانية الله وقدرته وحكمته ولتمكن للناس أن ينتفعوا بما خلق الله في الارض والسماء ولتكفل لهم حياة أرق وأسعد وأرغد[٣٣] .

فأول آية نزلت على الرسول ﷺ «إقرأ» واذا تأملنا هذه الآيات يمكن أن نقول إذا كانت هذه الآية أول مانزل من القرآن وأول قطرة مباركة من غيث الرحمة الالهية وكان موضوعها العلم وأدوات العلم من قلم ونحوه وأدبيات العلم فهو باسم ربك أي أنها تعني علما نافعا مباركا يستمد قدسيته من الله وليس باسم رئيس أو عظيم أو منفعة أو وطن أو جنس أو طبقة وهو علم لايتعالى ولايغشاه جنون العظمة . كما رشحت هذه الآيات القلم كأداة للعلم والمعرفة فأشارت بذلك الى رسالة هذا العلم[٣٤] .

(٣٣) د . احمد الحوفي : القرآن والتفكير (القاهرة – المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية دراسات في الاسلام – ١٩٧٥) ص ٩ ، ١٠ .

(٣٤) توفيق محمد سبع : مرجع سابق : ص ٣٩ – ٤٢ وراجع) .

والاسلام لا ينكر العلم ، وفي الحديث «إطلبوا العلم ولو في الصين» مايعني المعاناة في طلب العلم ، ولايعني العلم الديني فليس في الصين مايطلبه المسلمون للتفقة في الدين وانما يعني معنى العلم الطبيعي ، والاسلام يعلوا بالعلوم لأنه يخص عليه ويدفع الى النظر والتأمل والكشف على أسرار الكون ، والعلاقات الاجتماعية بصورة لم يصل اليها العالم بعد .

ويقول سيد قطب في ظلال القرآن ص ٦٦ أن القرآن هو الصورة الاخيرة لكتاب الله الواحد المتحد الاصل والوجهة ، المساير لحاجات البشر حتى اذا كشف لنا ساعة الحقائق الكبرى التى تقوم عليها أسس الحياة ، إنقطع الوحي ليتصرف في العقل البشري في حدود تلك الحقائق الكبرى ، بلا خوف من الزمن مادام يرعى تلك الحدود[٣٥] .

وتنبع فلسفة التجريب والعلم في القرآن ، وكما يقول إقبال ، أن القرآن يرى أن الموقف التجريبي هو طور ضروري من حياة الانسان الروحية ولذلك فانه يعلق نفس الأهمية على جميع ميادين التجربة الانسانية كطرق لمعرفة الحق الذي يكشف عن وجوده بآيات خفية وظاهرة ، حتى أن الله خلق الكون للانسان وفرض عليه أن يعيد عمارته من جديد ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الارض وأسبغ**

(٣٥) د . احمد شلبي : الاسلام (مرجع سابق) ص ١١٢ .

عليكم نعمة ظاهرة وباطنة﴾* وهذا الموقف يدعو الى التجريب والعلم بكل أسرار الكون(٣٦) .

ويرى الشيخ شعراوي(٣٧) أن الاسلام جاء ليُنَظم حركة الحياة ويدعو للتفكير في كل شيىء وفي الأخذ باسباب العلم في كل شيىء وبالفعل يمجد الاسلام العقل ويكبر العلماء ودعو(٣٨) للتأمل في ملكوت السموات والارض ثم هو صاحب اليد الطولي على الانسانية جمعاء وحامل لواء المدنية الحديثة .

والاسلام بكل المقاييس يدعو الى العلم ويدعو العلماء الى التفكير الدائم ويرفعهم الى مستوى أفضل من بقية البشر وهل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟ . . إنها تساؤلات نطق بها القرآن وأجاب عنها كثيرا وكثيرا لأنه دعا الى العلم بأوسع معانيه وبدرجة تصل الى التفكير في خلق السموات والارض وما بينهما ، لاحدود لنهاية العلم المطلوب الوصول اليه ماعدا الروح التى هى من أمر الله وماعداها يجب التفكير فيه لأن التفكير فريضة إسلامية .

---

* لقمان آية ٢٠

(٣٦) SIR. M. IGBAL: THE RECONSTRUCTION OF RELIGIOUS Bx x WLH IN ISLAM (LAHORE, ASHRAFF 54) p.15,16.

(٣٧) الشيخ محمد متولى الشعراوي : الله والكون : مرجع سابق ص ٦٤ - ٩٦.

(٣٨) الشيخ محمد الغزالي : مع الله (مرجع سابق ص ٣٠٩) .

خامسا : الأمـــل :

الاسلام دين الامل ، كما أنه دين البر والتيسير ولأنه دين العلم والعلماء ولانه دين الاخلاق الرفيعة السامية في وقت السلم والحرب ولأنه دين الحقوق الكاملة للانسان في كل زمان ومكان ولانه دين الحقوق الاجتماعية والكفاية الاقتصادية لكل انسان مسلم كان أو غيره ولذا كان الاسلام هو دين الامل لانقاذ البشرية مما تعانيه في القرن العشرين ومابعده من قرون . كيف ذلك . . هذا ماسنحاول تفاصيله وبيانه .

الفصل الرابع
الاسلام وتحديات العصر

الاسلام وتحديات العصر

الاسلام دين الله في الارض الى يوم البعث ، يتحدى تكنولوجيا وتشريعات وحقوق الانسان واقتصاديات القرن العشرين ، يتحدى بكلمات ربانية وبتشريعات سماوية وبتعاليم إلهية تفوق قدرة البشر أجمعين . .

لماذا ؟ ! ! لأن الله عز وجل يعرف قدرة البشر المحدودة ويعرف إمكانياتهم المادية والعقلية المتوسطة ويعرف ضيق أفقهم النسبي . . ولذا وضع لهم تشريع سماوي محكم ينظم حياتهم ويهديهم الى الصراط المستقيم ويوضح لهم العلاقات السوية بين الانسان وأخيه الانسان ويعطيهم النظام الاجتماعي المترابط والمتين الذي يليق بالانسان الى يوم البعث والحساب .وسنناقش هنا كيف أن الاسلام هو دين الوجود وكيف هو تشريع العالم أجمع شماله وغربه ، شرقه وجنوبه ، وكيف وهو يحافظ على فطرة الانسان يعامله معاملة حضارية ويتواءم ويتواكب معه في كل خطوة يخطوها .

اولا : الاسلام والتحدي الروحي العقائدي :

قلنا أن الفترة بين كل رسالة ورسالة لم تزد عن ثلاثمائة عام أبدا ، ومضى على الاسلام أربعة عشر قرنا كاملة دون ظهور دين آخر ، وهذا يؤكد أن الاسلام هو دين الله حتى

البعث والحساب .

ومع ذلك ، فان تعاليم الاسلام الروحية السمحة والتى تتسم بروح التيسير على البشر ، تعاليم تواكب فطرة الانسان وطبيعته ، ولذلك نجد روح الاسلام يسود في كل مكان . . في الدول الاوروبية وفي منظمات الأمم المتحدة ، في سلوك المواطن في كل مكان ، حتى نجد الامام محمد عبده يعلن «إنني وجدت في أوروبا إسلام بلا مسلمين» وحتى نجد أن الغرب يعاني من أزمة أنه يعيش بلا دين ، ولقد هجر الناس في الغرب والشرق الكنائس فلا تجد من يدخلها[1] . . فمن يسد هذا الفراغ الروحي والعقائدي ؟ . .

الاجابة سهلة . . .فالاسلام هو الأمل وهو الدين الذي يسد الفراغ الروحي ، والعقائدي الذي يسود العالم الآن ، ولكن كيف ذلك . . . ؟ . .

الاسلام أولا دين تسامح وحب حتى مع الاديان الاخرى ، فالعلاقة بين الاسلام واتباع الديانات الاخرى تتسم بالايمان والحب والتسامح وهذا لاينبع من فراغ لان أهم شروط للاسلام هو الايمان بالرسل والكتب والديانات السماوية السابقة على الاسلام ، وهذا لايوجد في أي دين آخر ، كما أن الاسلام لايرضي بالاكراه في الدين أبدا فلا يُكْره أحد في

(١) عرفات كامل العشي : هذا هو الاسلام : جريدة الانباء الكويتية عدد ٨٧/٢/٢٠ .

الدخول في الدين الاسلامي وهذا غير موجود في أي دين آخر أيضا ولذلك فان علاقة الحب والتأمل بين الاسلام وغيره تجعله دين مقصد كل العلماء والمفكرين حتى وصل عدد المسلمين الى ألف مليون نسمة بدون العدد الضخم – الغير معروف – في الصين بكثافتها السكانية الضخمة . .

ثم يأتي الاسلام كدين مواكب للفطرة الانسانية من حيث النظافة مثلا فالمسلم يغتسل للصلاة ٥ مرات يوميا وهى كافية لازالة كافة أسباب التلوث التي تصيب الجسد الانساني[٢] ، والصلة الموجودة في الصلاة تجعل الانسان لاينسى الروح العليا والالهية أبدا في خضم مشاكل الحياة مما يكسب الحياة طابع إيماني عميق ، كما أن جميع مناسك الاسلام تُزيل أي شيء يخالف فطرة وطبيعة الانسان المسلم مما يجعل إيمانه شفافاً وناصع البياض ، وحتى الحج وهو أكبر مؤتمر روحاني عقائدي على وجه البسيطة فنجد أن مليون مسلم يجتمعون لمدة طويلة في مكة والمدينة في حب الله فوجب على الله أن يُعيدهم كيوم ولدتهم أمهاتهم .

والاسلام ، كعقيدة سماوية وكدين للبشر جميعا ، يجمع بين الاجسام والارواح ، بين الدنيا والأخرة ، بين الماديات والمعنويات ، فهو بهذا دين يصلح للانسانية جمعاء ويواءم

(٢) انظر في ذلك كتاب الطهارة : د . الاحمدي أبو النور (القاهرة – رسالة الامام – المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – سبتمبر ١٩٨٦) .

بين جميع الظروف والبيئات المختلفة[٣] . ولذلك جاء الاسلام بقواعد التوازن بين الروح والجسد ليمنع التصادم في الحياة (الآن مابين مادية الشرق الشيوعي والاشتراكي وروحية الغرب المسيحي رغم ماديته ورأسماليته ايضا) ويجعلها حركة متساندة لامتعاندة ، ومكان الفساد في الحياة هو أن أهل الديانات الاخرى الموجودين إنحرفت دياناتهم الى المادية ، فكان لابد أن تجيىء ديانة روحية صرفة ، فجاءت المسيحية بالروحانية كمنطق طبيعي يصوب المادية اليهودية لأن المادية اليهودية إنعدمت فيها القيم ، فجاءت المسيحية بقيم فقط وليس فيها منهج يحكم حركة الحياة ومن هنا تأتي فلسفة الدين الاسلامي التى جمعت بين منهج المادية ومنهج القيم ، الروح والجسد[٤] .

وهكذا ، جمع الاسلام أروع الصفات التى تجعل الروح الانسانية شفافة والخلق الاسلامي ناصع البياض وأن تجعل النفس البشرية قريبة من رضوان الله عز وجل ، فعقيدة المسلم شيء لايتوقف على غيره ولاتبقى فيه بقية وراء سره وجهره ، فمنذ يسلم المسلم يصبح الاسلام شأنه الذي لايعرف لاحد حقا أعظم من حقه أو حصة أكبر من حصته ، كذلك

---

(٣) محمد الغزالي : مع الله : مرجع سابق ص ٣١٠ - ٣١١ .
(٤) محمد متولى الشعراوي : الله والكون : مرجع سابق ص ٦٦ - ٦٨ وراجع : فتحي رضوان الاسلام والمذاهب الحديثة - مرجع سابق .

لاينقسم المسلم قسمين بين الدنيا والاخرة أو بين الجسد والروح ، ولايعاني هذا الفصام الذي يشق على النفس إحتماله ، ولذلك تجد العقيدة التي توحد الانسان وتجعله كُلا مستقلا بدنياه وآخرته وتُباعد بينه وبين ذلك الفصام الذي لاتستريح إليه السريرة البشرية[٥] . . وحتى في العبادات مثل الصلاة والزكاة والحج والصيام فهي بين العبد وربه وكلها من أسرار الفرد لايعرفها سوى الله ولذلك لم يكن هناك رهبانية في يوم من الايام والرهبانية هى حالة غير موجودة بتاتا في الاسلام[٦] .

ومما سبق يتضح أن الاسلام هو عقيدة سمحة تناسب طبيعة البشر فهو دين يسر لاعسر وهو دين الفطرة الانسانية والمساواة بين البشر وطقوس دينية بسيطة تناسب فطرة الانسان وطبيعته ، تجمع بين المادة والروح وبين الجسد والروح ولذلك هو دين يناسب ماتعانيه البشرية من الآم وفراغ روحي وعقدي حاليا .

ثانيا : الاسلام واستقرار التشريعات :

يعاني العالم من إسهال تشريعي مابين قوانين عالمية وقرارات فوق أممية وبين دساتير دول واتفاقيات دولية بين

(٥) العقاد حقائق الاسلام واباطيل خصومة (بيروت – دار الكتاب العربي – بدون ص ٢٣)

(٦) يقول الرسول ﷺ لارهبانية في الاسلام «ابن كثير في تفسيره ، راجع ذلك د . النعمان القاضي (مرجع سابق) ص ١١٦ .

دولة أو اكثر ثم توجد داخل الدولة الواحدة دستور به الأسس للنظام السياسي والاجتماعي ثم قوانين وضعية في كافة المجالات من سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها ثم لوائح لتنفيذ هذه القوانين ولتفسيرها إذا لزم الامر .

وكل يوم يتطور الانسان ويستلزم الأمر تعديل التشريعات والقوانين لتناسب مع طبيعة التطور الانساني والنمو الاجتماعي .

واذا نظرنا للاسلام نجد أن شريعته باقية بقاء الانسان ، فهى مازالت مستمرة منذ ١٥ قرنا من الزمان ولايوجد قانون ثابت أكثر من عشرين أو ثلاثين أو مائة سنة على أقصى تقدير . . لماذا ؟ لأن الشريعة الاسلامية هى قوانين إلهية ، إما التشريعات والقوانين فهى وضعية وضعها الانسان بطاقاته وقدراته المحدودة ، واذا كانت الشريعة الإسلامية باقية ، لأنه لاينتظر نبي آخر يمكن معه إنتظار شريعة سماوية أخرى ، ولأن الله لم يحل البشرية من أنوار هدايته ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**[٧]﴾ فجعل الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع وجعلها في متناول الجميع الى يوم القيامة[٨] ، وجاء بشريعة نظمت الحياة الانسانية من ألفها الى بائها ونظمت الدين والشرع العقائدي في الاسلام وأعطت للانسان

---

(٧) النساء آية ١٦٥ .

(٨) د . عبد الفتاح بركة : مرجع سابق ص ٤١ .

شورى تقيه من شر النوازع والتقلبات ، ووضع الرسول الكريم اللوائح التنفيذية لكل صغيرة وكبيرة بسنته الطاهرة من قول وفعل وعمل . . . كل ذلك أدى الى وجود شريعة ثابتة راسخة تناسب الانسان ويسعى الانسان الى الوصول الى بعضها . .

ومع ذلك فالتشريع الاسلامي لايقف في طريق رأى صالح ، في الامور التفصيلية ولذلك فان التشريع الاسلامي ينظر الى الزعازع التي تمخضت عن القرن العشرين[٩] ، وهو ثابت على قراره المكين ، فلا يمنع صالحا منها طالما يُثْبت صلاحيته ولايدع فاسداً أن يطغى بفساده طغيانا لارجعة فيه ، وقوام الأمر فيما يبيح ويمنع مرجع واحد ثابت على الزمن ثبوت الجماعة البشرية وهو المصلحة العليا التي تتقدم فيها ومصلحة الكثير على القليل ، ويتقدم حساب الزمن الطويل على القصير . بل أن تجدد الفقه الاسلامي واضطراده مع الحياة وقضاياها واستجابة أصوله لذلك التجديد وضبط سير الحياة بتعاليمه واستيعابه للنشاط العام البشري في كل مجالات الحياة ، كل ذلك يجعل من هذا الفقه قانونا واقعيا للحياة ولذلك لابد أن يبسط جناحيه على المجتمع . .

واذا نظرنا للنظم الرأسمالية والاشتراكية السائدة في عالم اليوم ، نجد أن الاسلام لايعنيه منها أو من أي مذهب آخر إلا

(٩) العقاد : حقائق الاسلام : مرجع سابق ص ٤٨ .

تحقيقه لمصلحة الناس مع عدم خروجه على أصول العقيدة أو أركانها[10] .

ونماذج التشريعات الاسلامية الثابتة والتى لم يصل اليها العالم بعد : حقوق الانسان في الاسلام العالية والرفيعة ، الحدود بنظرتها العادلة للطبيعة الانسانية – حقوق المحارب في أوقات الحرب – العلاقات بين مختلف الاديان ومختلف الناس ومختلف الدول تحت مظلة الاخاء الانساني ، العلاقات الدولية السليمة – الاخلاق الاسلامية الرفيعة – الاقتصاد الاسلامي الشامل ، وغيرها من التشريعات التى تمثل طريقة تفهم طبيعة البشر ونوازعه النفسية والبشرية ، فاذا كان الله تعالى مأمر ونهى إلا المستطيع للعقل والترك وأنه لم يجبر أحداً على معصية ولا اضطره الى ترك طاعته[11] ، وقال تعالى **﴿لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها ماكتسبت﴾** آية ٢٨٦ سورة البقرة كل ذلك يؤدي الى مواكبة التشريع الاسلامي لمقتضيات العصر وتطوره معه وموافقته للاهواء البشرية ولروح العصر . . كل ذلك يؤدي الى الدعوة لضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية كاملة في كل البلاد الاسلامية لتكون نموذجا وعبرة لمن يعتبر بما تحقق من

---

(١٠) عبد المنعم خلاف : المادية الاسلام مرجع سابق ص ٢٥ .

(١١) وقامة المقدس : الاعتقاد : تقديم احمد حسن جابر (ملحق مجلة الازهر – ربيع الاخر ١٤٠٧هـ) ص ٣٠ .

ديمقراطية حقيقية بالشورى الاسلامية ، واستقراراً سياسيا بالعدل والمساواة والاخاء الاسلامي ، وتنمية حقيقية بالاقتصاد الاسلامي الكامل ، وبالحرية الكاملة للرجل والمرأة ، وللحقوق الانسانية المتعددة التى تؤدى الى شعور الانسان بانسانيته كاملة لامنقوصة بما يؤدي الى زيادة طاقات وانطلاقات المجتمعات لتكون نماذج يهرع اليها الجميع ليقتبسوا منها وتكون منطلقا لانتشار الاسلام وغزوه السلمي كافة الدول ، وذلك بالواقع التطبيقي ، بدلا من أن نُهرَع نحنْ - العرب والمسلمين - الى القوانين الفرنسية لنأخذ منها وعنها للتطبيق في المجتمعات الاسلامية ثم ننظر بدهشة الى الدستور الانجليزي لأنه مازال ساريا منذ مائتي عام ولدينا الدستور الالهي الذي سيظل أبد الآبدين فمضى منه ١٥٠٠ عام وسيظل الى يوم القيامة . . ولابد أن نكون مسلمين حقا وصدقا بالتطبيق الصحيح للشريعة الاسلامية(١٢) .

ثالثا : الاسلام والتحدي الاقتصادي :

يعاني العالم كله من أزمة اقتصادية طاحنة ، فهناك مشاكل البطالة ومشاكل التضخم في الدول وهناك مشاكل التنمية

---

(١٢) راجع ذلك : د . يوسف القرضاوي الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف - قطر كتاب الامة - ٢ - ص ١٣٢ - ١٣٤ .

وعدم وجود رأسمال لإحداث التحول في دول أخرى ، وهناك مشاكل الصناعة والتجارة ، وهناك الفقر والجوع والقحط والجفاف ، وهناك مشاكل الديون على الدول مما يجعلها رهينة باقتصادها في يد الدول الدائنة وكذلك المشكلات السكانية .

والاقتصاد الاسلامي ، يضع الحل للاقتصاد العالمي في عدة نظم وضعها الاسلام بعناية ورعاية لكي يجعل من المسلمين عمالقة في عالم الاقتصاد ولكن هل من يسمع النداء[١٣] ؟ .

فالعقيدة الاسلامية ليست مما ينتهى بالانسان الى التواكل وهناك فرق بين التوكل والتواكل ، فالتوكل على الله هو إيمان بقدرة الخالق وهو رحلة بين الانسان وربه ، ولذلك فان العمل يولد الثروة والطاقات الانتاجية تصنع الثروات والقدرات العالية على التواصل والتنمية ، فرأس المال البشري أهم عمليات الانتاج ولقد دعا الاسلام الى العمل في اكثر من موضع بل ان الله يراقب هذه الاعمال ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾*[١٤] . والعمل يؤدى الى تزايد دورة راس المال وبالتالي اذا أخلصنا العمل فان الانتاج

(١٣) حسين فوزي النجار : مرجع سابق ص ٣٢١ .
(١٤) بحث للمؤلف : قيمة العمل في الاسلام (غير منشور : مقدم لمديرية الشباب والرياضية – المنوفية – مصر) . * التوبة آية ١٠٥ .

سيزيد وستنتهي مشاكلنا كلها .

وكذلك حرم الاسلام الربا لأنها فاحشة وساءت سبيلا ، وجعل بدلا منها المشاركة والموائمة بين راس المال والعمل وذلك بقسمة الارباح والخسائر ، أي المشاركة الاسلامية الكاملة في المشروعات ويؤدي ذلك الى دخول رأس المال في مشروعات حقيقية حتى يتأكد من الربحية وبالتالي لايؤدي الى إحتكار راس المال للجهد البشري ، بل تعاون كامل من أجل المجتمع ومن أجل حركة الحياة ويؤدي الى تخفيف ديون الدول .

كما أن التوازن بين الملكية الفردية والملكية المجتمعية في نظرية حكيمة وضعها الانسان للموائمة بين النوازع الانسانية وحاجات المجتمع - كما أسلفنا القول - وذلك يؤدي الى تدفق القوى الانتاجية في المجتمع وتوافق مصلحة الفرد مع مصلحة المجتمع .

كما أن الاسلام نهى عن الاحتكار ونهى عن سيطرة رأس المال ونهى عن «كنز واخفاء» رأس المال لأن المال له وظيفة محددة وهى إسعاد البشر وتنمية المجتمعات[١٥] .

والزكاة في الاسلام لها فلسفة اقتصادية بالاضافة الى الفلسفة الاجتماعية ، فهى تؤدي الى التوازن في المال بين

---

(١٥) راجع : د . محمد عبد الهادي النجار : مرجع سابق . كتاب الاقتصاد في الاسلام .

الاغنياء والفقراء ، فهي بنسبة ٢٫٥٪ على رأس مال الشخص الذي يظل معه عاماً كاملا وتزيد أو تنقص حسب طبيعة عمل رأس المال . وهي حق معلوم للسائل والمحروم . . بقصد سد حاجة الفقراء والضعفاء من أموال الاغنياء وهي فلسفة إسلامية رائعة تُغني عن نظام التعاون والتكافل وخصوصا اذا إتحدت مع العمل . والزكاة في الفقة الاسلامي هي مجرد وسيلة لاعادة توزيع جزء يسير من رأس المال للمستحقين لهذه الزكاة .

كما دعا الاسلام الى عدم الاسراف أو عدم التبذير وعدم التقطير بما يعني إعداد العُدة لأيام الشدة كما فعل سيدنا يوسف عليه السلام في اقتصاد مصر سبع سنين رخاء أعقبهم سبع سنوات عجاف وقحط فلابد من الادخار كوسيلة لمواجهة تقلبات الزمن بالنسبة للمجتمع وبالنسبة للفرد والادخار فوائده معروفة .

كما دعا الاسلام الى الاستغلال الأمثل للقوى البشرية وذلك بتدريبها وتأهيلها لتكون قوة إقتصادية إنتاجية بدلا من إهمالها وجعلها سُبَّةً في جَبينْ المجتمع وموضع ضعف من مواضعه ، فالكثرة قوة اذا أحسن إعدادها ، وضعف إذا تم إهمالها . . ولذلك فان الثروة البشرية ثروة هائلة الطاقات بشرط إستغلالها وهي لاتقل أهمية عن رأس المال .

وبالجملة فان الاسلام يتحدى الاقتصاد العالمي

المتدهور ، يتحداه بالدعوة الى العمل لأنه أساس كل نهضة وكل تقدم ، ثم الاستغلال الأمثل لرأس المال ليس في المضاربة ولكن في الانتاج والتنمية والانشاء ثم إلغاء الاحتكار وتحريمه وتحريم الربا . . كلها أسس راسخة نحو نقاء المجتمع وقوته الاقتصادية وأساس راسخ نحو ثراءه المالي والمادي .

رابعا : الاسلام والتحدي الاجتماعي :

سبق أن تحدثنا عن الاخلاق الحميدة التى دعانا الاسلام اليها والتي وضعها الاسلام لتكون أساسا راسخا وقويا للنظام الاجتماعي الاسلامي ، وتنبع هذه الاخلاق من رؤية الاسلام وطريقة معاملته للنفس البشرية الانسانية ، فيرى الاسلام فطرة الانسان فلا يَكْبُت نوازعه وغرائزه بل يقدرها ولكنه يدعو الى ضبطها حرصا على الفرد وعلى كيان المجتمع وهو بهذا دين واقعي يستند الى فطرة الانسان وليس نظاما خياليا أو مثاليا .

ولذلك فقد تبنى الاسلام الحضارات التى أوجدها الله في مصر وفارس وبلاد الروم مادامت لاتخالف عقيدته في وحدانية الله ولاتَصْرف الناس عن الخير الذي يدعو اليه[١٦] .

وينبع التحدي الاجتماعي للاسلام من واقعية العقيدة

---

(١٦) د . النعمان القاضي : مرجع سابق ص ١٠٨ - ١١٦ .

القرآنية التى استطاعت توحيد مطالب الدنيا والآخرة في وجدان المسلم وأن تلائم بين الروح والجسد وأن تجعل الامر كله دنيا ودين لله الواحد القهار . . وتنبع هذه الواقعية من الواقع الانساني والواقع الكوني وواقع الحياة كلها ، محاولا ربط الانسان بكونه الذي يتعامل معه ، ويعيش فيه ويتفاعل مع عناصره مؤكدا العلاقة الوثيقة بينهما لأنهما معا من صنع الله .

كما نجح الاسلام نجاحا كبيرا في إيجاد العقد المتكامل الذي جمع بين الايمان بمادية الطبيعة وقيمها والايمان بما وراء الطبيعة والقيم التى تليق بها . . . كل ذلك أدى الى أن يكون الاسلام دين أخلاقي ودين يدعوا الى التعاون بين الناس كافة وبين المسلمين خصوصا ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان**﴾[١٧] ، ثم جاء بتعليمات أسرية وحقوق للاسرة وللزوجة وللاب وللام وللابن . . حقوق مانزلت بها من قبل ومن بعد أي شريعة تدعو الى مثل هذه القيم الاجتماعية الاصيلة .

هذه القيم الاجتماعية التى تؤدي الى تماسك المجتمع ووحدة المجتمع وقوة المجتمع . . ولذلك فان نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة الشريفة تؤكد على أن الاسلام يتحدى الانهيار الاجتماعي الذي أصاب الاسرة الاوروبية

---

(١٧) من الآية ٢ سورة المائدة .

والذي أصاب كل منزل وكل أوجه الحياة في المجتمعات الغربية والشيوعية على السواء ، كل ذلك ينبع من جوهر الدين الاسلامي وقيمه الاجتماعية التى أمرنا الله بها أو نهانا عنها . ولذلك قال تعالى يصف هذه القيم الاجتماعية التى أنزلتها الشريعة الاسلامية فقال الحق ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[١٨] وليس بعد ذلك من قول نواجه به الانهيار الاجتماعي الذي يغمر الحياة في العالم كله الان .

خامسا : الاسلام والتحدي السياسي :

تسود نظم عديدة ومتعددة بدعوة الديمقراطية والحرية والتمثيل النسبي وكلها كلمات حق يُرَاد بها باطل تحت دعوى الديمقراطية . .

والحقيقة أن الاسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي جاء بنظام سياسي وجاء الامر بالشورى كواحد من تعاليمه الاساسية ومبدأ أساسي من مبادئه ، وإن لم يُحَدد القرآن الكريم تفاصيل الشورى من أجل الوصول بالتطبيق الى أقصى إندماج بين الحاكم والمحكوم . . .

والشورى مبدأ واسع وشامل ، ونلاحظ في الآيات

---

(١٨) آية ١١٠ سورة آل عمران .

القرآنية التى نزلت عن الشورى والاحاديث النبوية الشريفة عن الشورى مايلي :

(أ) أن الشورى في الاسلام جاءت مرتبطة بالعبادة ومقترنة بالصلاة .

(ب) أن الشورى كمبدأ أصبح محور الحياة الاسلامية كلها .

(جـ) أن تخصيص سورة باسم الشورى في القرآن تأكيد مقصود من الله تعالى لاظهار أهمية مبدأ الشورى وخطره على حياة وكيان الامة .

(د) إن الشورى تعنى أنه على كل رئيس أن يستشير مرؤوسيه كما نص الاسلام على أن المسلمين مطالبين بأن تكون الشورى دستور حياتهم على سبيل الوجوب والالزام في الامور العامة ، كما أن الأمة آثمة اذا خضعت لحكم إستبداد فردي[١٩] .

وبالطبع نجد أن الاسلام أعطى الحُرية أبعاد اساسية عديدة وأعطى الحرية كل الحرية السياسية لجميع المسلمين ، حتى المرأة أعطاها حق معارضة الخليفة أو الحاكم معارضة مباشرة لاوساطة فيها .

---

(١٩) راجع في ذلك يعقوب المليجي مبدأ الشورى في الاسلام (الاسكندرية – مؤسسة الثقافة الجامعية) ، عباس العقاد الديمقراطية في الاسلام ، محمد ضياء الريس : النظريات السياسية الاسلامية (القاهرة – الانجلو – ٦٤) .

كما أعطى العدل – إستقلال القضاء – إستقلالا كاملا فالقضاء له سلطة محاكمة الحاكم وعزله اذا اقتضى الامر . .

وبالجملة ، أعطانا الاسلام حياة سياسية نظيفة وقوية تكون قوة للرأي العام ومقدرة للمواطن على خلع الحاكم عن طريق القضاء وأعطانا الشورى كمبدأ وكنظام حياة ، والحرية الواسعة بكافة أبعادها . فالحرية السياسية جزء لايتجزأ من نطاق الحرية الواسع العريض . .

وهكذا . . يلعب الاسلام دورا هاما في مواجهة تحدي العمل السياسي على المستوى العالمي ، فهناك فشل واضح للنظم النيابية وللنظم الشيوعية والحزب الواحد ، فالاحزاب فاشلة والحزب الواحد فاشل لانهم جميعا لايعبروا عن رأي الامة ولاتعبر إلا عن قطاع ضئيل من المجتمع . . الخ . .

وهكذا . . فالاسلام يعطى للشعب كل الشعب الحق في الحكم من خلال الشورى وفي إطار مبادىء الاسلام . .

سادسا : الاسلام والتحدي العلمي :

باختصار شديد دعا الاسلام الانسان الى التفكير في خلق السموات والارض ومابينها وفتح آفاق العالم والكون كله واسعة رحبة لتكون مجالا للتفكير ، ولذلك فان الاسلام يعطي الضوء الاخضر لمزيد من التأمل والتفكير والاختراع من أجل خدمة البشرية ورفاهيتهم وسعادتهم .

والاسلام يتحدى العالم أجمع في كوامنه الخارقة وقوانين العلم التى تضمنتها نصوصه ، والاسلام يؤكد كل يوم أن العلم واجب على كل مسلم ومسلمة لأن العلم سلاح للانسان ضد الجهل . .

حقا . . إن الاسلام قادر على مواجهة مشاكل العصر وهو بحق شريعة الكون وشريعة الوجود وشريعة العالم اجمع . .



الباب الثاني
قيمة العمل في الاسلام

الفصل الأول
العمل في الاسلام قيمة عليا

قيمة العمل في الاسلام

إن العمل . . مُقدس . . وحرية العمل مكفولة ، وحقوق الانسان أثناء العمل مُصَانة ، وتحديد ساعات العمل وضمان الأجر . . كلها حقوق تبدو في ظاهرها أن العامل قد حصل عليها بالكفاح والنضال لسنوات طوال . . ولكن مابالنا نجد ان الاسلام قد أعطى العامل أكثر من هذه الحقوق . . بل أعطى مكانة متميزة . . فهو يحترم كل قطرة عرق تبذل في العمل . . ويقدس العامل في عمله كأنه في محراب مسجد . . ساجدا لله فأن العمل عبادة . . ويأتيه الاسلام بأجرين كاملين أجر فوري في الدنيا . . وأجر في الآخرة . . ومع هذه الصفحات نستعرض سريعا بعض أوجه قيمة العمل في الاسلام .

العمل في الاسلام قيمة عليا

يمكن القول دون الدخول في المتاهات المنهاجية والفكرية أن القيمة العليا هى التى تُشَكل ماعداها من القيم الاخرى في أي مجتمع أو دولة ، بمعنى آخر أن هناك قيم

عديدة لها وجودها وديناميا تها ولكن تشكل من خلال القيمة العليا التي تَبْسِط نفوذها ماعداها من القيم[1] .

ولهذا أُبرزت الحرية كقيمة عليا في المجتمع الغربي وليس معنى هذا أن المجتمع الغربي ليس لديه قيم أخرى فأن لديه قيم العدالة والمساواة والعمل وكل القيم ولكنها تبرز من خلال الحرية وتتشكل بها . وكذلك في المجتمع الشرقي هناك قيمة المساواة كقيمة عليا .

ونأتي الى الاسلام الذي رفع العمل الى مرتبة القيمة العليا التي تتشكل من خلالها كافة المبادىء والقيم الأخرى ولكن لماذا ؟ - وهذا الرأي رأي الشخصي بالطبع - أن قيمة العمل الاسلامي قيمة عليا تتشكل من خلالها الحرية والعدالة والمساواة .

وأبرر ذلك بأن أعلن أن الاسلام قد قَدَّس العمل وحض عليه ونهى عن الكسل وحَذَّر من عواقبه .

وأزيد ذلك من حجج فأقول مستعينا بآراء كبار الفقهاء :

- إن الله عز وجل ورسوله ﷺ وكافة المؤمنين هم الذين سيراقبون أعمالنا حيث قال الحق تعالى ﴿**وقل أعملوا فسيرى الله اعمالكم ورسوله والمؤمنون**﴾[2] .

---

(1) د . حامد ربيع (نظرية القيم (القاهرة - دار نهضة الشرق - ١٩٧٤) ١ - ٣ .

(2) سورة التوبة (آية ١٠٥) .

– إن العمل في مفهومة كما يشمل الاعمال البدنية من زراعة وتجارة وصناعة مثلا . . الخ ، يشتمل أيضا على الاعمال القلبية ، كالغضب والرضى ، والحب والكراهية ، والحقد وحب الخير للناس . . الى غير ذلك مما يقع في الشريعة الاسلامية تحت مسؤولية الانسان ويستحق من اجله الثواب والعقاب كما يتضمن مفهوم العمل في الاسلام كذلك الأعمال الفكرية والعقلية مثل أعمال التخطيط والتصميم ومثل التأمل والتفكير في ملكوت السموات والأرض[٣] .

– كما يُعْتَبر الاسلام في تقويمه للعمل بالنيه ، فاذا كانت النية في العمل خَيرة كان العمل خيرا ، وان كانت النية سيئة كان العمل شرا وقد قال المصطفى صلوات الله عليه وسلام «إنما الاعمال بالنيات ولكل أمرىء مانوى[٤]» .

كما قال الله تعالى **﴿فمن يعمل مثقال درة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾**[٥] .

– حتى أن الايمان اقترن في آيات عديدة بالعمل الصالح **﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات[٦]﴾** وهذا يدل على المنزلة

---

(٣) د . محمد عبد الرحمن بيصار : العمل في الاسلام (الكويت – مجلة الوعي الاسلامي عدد شعبان ١٣٩٥هـ – اكتوبر ١٩٧٥) ص ٣١ .

(٤) رواه البخاري .

(٥) سورة الزلزلة (آية ٧ ، ٨) .

(٦) عدة آيات منها سورة العصر آية ١ ، ٢ وسورة يونس آية ٩ وسورة هودآية ٢٣ .

الرفيعة للعمل لارتباط الايمان به دائما[٧] .

وقول الله تعالى ﴿**من عمل عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجراهم بأحسن ماكانوا يعملون**﴾ آية ٩٧ سورة النحل .

فالعمل مطلوب وواجب حتى يتحقق به مع الايمان الأجر والخير والثواب والحياة الطيبة[٨] .

– ثم ماهى الأُسس التى بُنِيَ عليها الاسلام ؟ ! الشهادة بالله ربا واحدا والمصطفى رسولا ثم الصلاة والزكاة والصيام والحج ، ماهى هذه الدعائم . . هى عمل يُقْصد به وجه الخالق والتقرب اليه وتنفيذ أوامره فالصلاة عمل والزكاة عمل والحج عمل والصوم عمل والشهادة عمل . . حتى كل شيء في الدين الاسلامي ذاته (عقائديا وروحيا) عمل . . فقيمة العمل التى تتشكل من خلالها العدالة والمساواة والحرية والفضيلة . . الخ من القيم التى جاء بها الاسلام الى الناس كافة .

---

(٧) عبد الرحيم فودة : العمل في رمضان «مجلة الازهر – القاهرة – عدد رمضان ١٣٩٤هـ – اكتوبر ١٩٧٣) ص ٣ .

(٨) المرجع السابق ص ٢ .



الفصل الثاني
حدود ونطاق قيمة العمل في الاسلام

حدود ونطاق قيمة العمل في الاسلام

لكل شيء في هذا الوجود حدوداً يبدأ منها وينته اليها الا العمل فهو فريضة واجبة في كل وقت وحين وفي كل زمان ومكان من أجل الدنيا ومن أجل الاخرة حتى بعد الممات ، فقد روى عن المصطفي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما معناه «ينقطع عمل ابن آدم من الدنيا بعد الموت إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له ، صدقه جارية ، علم ينتفع به[1]» أي أنه يجب أن يعمل الانسان أعمالا ينتفع بها بعد موته إما من تربية ذُرية صالحة أو علوما نافعة أو صدقات جارية .

واذا رأينا الرسول ﷺ يقول «أغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك[2]» لعرفنا أننا يجب أن ننتهز الشباب والصحة والحياة للعمل الجاد والمثمر بعيداً عن أغراء المال وضياع الزمان[3] .

ومع ذلك ، ونحن نتكلم عن حدود قيمة العمل نحاول تحديد الحديث عن تلك الحدود في النقاط التالية :

أولا : التوازن بين العمل للدنيا والأخرة

(١) رواه مسلم ، رياض الصالحين ، ص ٢٩١ .
(٢) رواه الشيخان البخاري ومسلم . .
(٣) عبد الرحمن فودة : العمل في رمضان : م . س . ذ ص ٢ .

لقد أكد «القرآن» والسنة على أنه لايجب الاهتمام بالجانب الدنيوي واهمال الجانب الأخروي ، فاذا عملت لدنياك من أجل دينك ووطنك ونفسك وأسرتك ، فلا يؤثر ذلك على اخلاقك وعقيدتك وعملك للدار الآخرة فان عملك في الدنيا للدنيا يصبح واجبا شرعيا فان القواعد الاصولية تُحدد أن مالايتم الواجب الا به فهو واجب ولذلك فالعمل للدنيا مع العمل للأخرة فريضة اسلامية[٤] .

فقد قال الله تعالى في سورة الملك (آية ١٥) ﴿**فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**﴾ كما جاء في «سنن البيهقي» أعمل عمل امرىء يظن أنه لن يموت أبدا واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غدا[٥] .

فمطلوب التوازن بين عمل الدنيا والعمل للآخرة لماذا ؟ لان الدنيا مزرعة الاخرة والناس فيها ثلاث أصناف : صنف شغله معاشة عن معادة فهو هالك ، وصنف شغله معاده عن معاشه فهو فائز ولكنه مقصر لتركه فضيلة السعي في طلب الرزق بالكسب الشريف وصنف معتدل وهو من شغله معاده ومعاشه فعمل لكليهما وهو الذي ينبغي للمؤمن .

---

(٤) د . مصطفى الحديدي الطير : من امجاد الرسالة المحمدية (القاهرة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - دراسات في الاسلام رقم ١٦٨ ، مارس ١٩٧٥) ص ٦٧ .

(٥) د . مصطفى الحديدي الطير : المرجع السابق ص ٦٩ .

وقال الرسول ﷺ مامعناه «من الذنوب لايكفرها الا الهم في طلب المعيشة»[٦] .

ثانيا : على طالب الرزق أن يطلب حلاله

إن النبيين والمرسلين قد أتوا بشريعة تُعْلن أن على طالب الرزق أن يَطْلُب حلاله فقد قال تعالى في سورة المؤمنين **﴿ياأيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾**[٧] . كما قال المصطفى ﷺ في عقاب الكسب الآثم «كل لحم نَبتَ من حرام فالنار أولى به» وقال عليه الصلاة والسلام «من لم يُبَال من أين اكتسب المال لم يبالِ الله من أين ادخله النار[٨] وقوله عليه الصلاة والسلام في الكسب الحرام وسوء عاقبته أن صاحبه يعاقب عليه ولو أنفقه في وجوه البر «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك كله ثم قذفه في النار» صدق رسول الله[٩] أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن مخيمره .

---

(٦) د . مصطفى الحديدي الطير : المرجع السابق ص ٧٢ .

(٧) آية ٥١ سورة المؤمنون وجاءت الآية في حديث اخرجه الامام مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **«ان الله تعالى طيب لايقبل إلا طيبا»** .

(٨) حديثان عن رسول الله رواهما الهيثمي عن سعد بن ابي وقاص وجاء في مسند الامام أحمد بن حنبل عن ابن عمر .

(٩) د . مصطفى الحديدي الطير : المرجع السابق ص ٧١ .

ثالثا : السعي الدائب المستمر لطلب الرزق

إن السعي لطلب الرزق «أي العمل للدنيا» فريضة على كل مسلم لكي ينفع نفسه وأهله ووطنه ، فقد روى عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال «على كل مسلم صدقة . قيل أرأيت إن لم يجد.؟ قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق . قال أرأيت إن لم يستطع ؟ فقال يعين ذا الحاجة الملهوف . قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير قال أرأيت إن لم يفعل ؟ قال: «**يمسك عن الشر فإنه له صدقة**» (اخرجه البخاري ومتفق عليه)

وهذا الحديث يعطينا منهجا في السعي الدائب لطلب الرزق للتصدق أو فعل وعمل الخير دائما وباستمرار[١٠] ويعطينا الحديث صورة عن تبصير المسلم بأنواع من العمل قد ينتبه اليها ولايعرف مكانها في نظر الاسلام فجاءت على شكل منهج متكامل للعمل وللتكامل الاسلامي .

كما يُحَدد هذا الحديث الشريف الصحيح المنهج الى السعي الدائب في ثلاثة أمور :

أولهما : الحث على العمل حتى لايكون المسلم عالة على غيره لاينفع نفسه ولا ينفع الناس .

ثانيهما : أن ينتفع بما تجمع فلا يحرم نفسه ولا أهله مما

---

(١٠) أبو الوفا المراغي : وظيفة المسلم في مجتمعه (القاهرة – مجلة الازهر – عدد يناير ٧٦) ص ١٥ .

أفاء الله عليه فذلك شر المنازل عند الله .

ثالثهما : ان ينفع الناس معه ولا يستأثر بالتمتع به هو وأهله دون أخوانه المسلمين[11] وقال الرسول ﷺ «لان يأخذ أحدكم حبلة فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه» رواه البخاري ومسلم . وقال سيدنا عمر رضوان الله عليه في نفس المعنى (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمت أن السماء لاتُمطر ذهبا ولافضة)[12] وهكذا فان السعي الدائب للعمل من أجل الدنيا وللعمل للاخرة هو فريضة اسلامية وسنرى فلسفة ذلك حالا .

---

(١١) أبو الوفا المراغي : المرجع السابق ص ٦١ .
(١٢) د . مصطفى الحديدي : م . س . ذ ص ٧٣ .

الفصل الثالث
فلسفة العمل في الاسلام

فلسفة العمل في الاسلام

لابد من الحديث عن حدود تلك الفلسفة حتى نستكمل مبحثنا السابق . . فقد قرر الله ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾* وينفذ من خلال الايمان «طاقات كبرى للانطلاق وهى طاقات الكون» .

والانسان يبذل طاقته في معالجة طاقات الكون فيمنح الانسان مايحفظ عليه حياته وحيويته وطاقته لينفق ذلك كله في العمل .

ويبارك الايمان الطاقات العاملة . . فيُكَرم الانسان بالعمل ويبرز جلال الكون فيجعل تأمله وتدبره والعلم بنواميسه والعمل للافادة من طاقاته سياحة قدسية وعبادة خاشعة فيقول الحق ﴿**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**﴾[1] وقال سبحانه ﴿**هو الذي جعل لكم الارض ذلولا ، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**﴾[2] .

وهكذا يطلق الدين قوى الانسان في أنقى وأصفى حالاتها لتعمل مع الطبيعة ، مع قوى الطبيعة تعمل بعد أن نقاها

---

* الأعراف آية ١٥٦ .

(١) اية ١٠ سورة الجمعة .

(٢) آية ١٥ سورة الملك .

الايمان من اليأس الكسير والبطر المغرور[٣] .

وهكذا . . تأتي العقيدة الاسلامية تعزيز للسعي الانساني في سبيل الحياة ، تأتي انطلاق للقوى الانسانية في أوسع مداها وتسخيرا للقوى الكونية في شتى أسبابها مع سد المسارات التى تبدد هذه القوى .

إن العمل والعمل الدائب الجاهد في هذا لكون العظيم الرائع هو عبادة الاسلام ، ولقد كتب الله على نفسه أن يمد مخلوقاته بأسباب الحياة المعقولة **﴿وما من دابة في الارض الا على الله رزقها﴾*** ولكن كيف . . إن الله سبحانه وتعالى أودع موارد الرزق في الكون وأسباب الكسب في الانسان[٤] .

إن الله سبحانه وتعالي أعطى الانسان طاقة تُفَجِّر مافطر في الكون من طاقات قال تعالى **﴿ولقد مكناكم في الارض ، وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون﴾**[٥] وقال سبحانه **﴿وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا منه إن**

---

(٣) راجع في ذلك الاسلام في المعركة ضد الجوع (الشؤون العامة بوزارة الاوقاف القاهرة – مارس ١٩٦٣) ص ٢٣ – ٢٥ .

* هود آية ٦ .

(٤) محمد علم الدين : الاسلام في معركتي البناء والنصر (القاهرة – المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية سلسلة دراسات في الاسلام – العدد ١٧٣ أغسطس ٧٥) ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ .

(٥) آية ١٠ سورة الاعراف .

في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[6] .

وتتركز الفلسفة الاسلامية للعمل في أن الايمان لايقعد بالمرء عن طلب الرزق ، والتوكل على الله لايعني أن السماء تمطر ذهبا أو فضة أو تسقط المن والسلوى . إن الايمان في المفهوم الاسلامي يزيد المؤمن بالله عملا في كون الله ابتغاء من فضل الله .

ولذلك فان طلب الرزق عباده . . وعمارة الأرض عبادة والايمان لايقوم الا بكليهما معا[7] . .

وتتزين فلسفة العمل بالاسلام فتظهر في أحسن صورة لها عندما يرى الله العمل ويشجع على اتقانه فيقول الله تعالى في سورة الكهف آية ٧ **﴿إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾** وضمن سبحانه وتعالى الأجر للعاملين **﴿إن الله لايضيع أجر المحسنين﴾** التوبة آية ١٢٠ .

كما روى البيهقيْ في شُعب الايمان عن عائشة رضى الله عنها قول الرسول عليه الصلاة والسلام «ان الله يُحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» فالعمل الدائب والمثابرة عليه يساعد على مضاعفة الانتاج ولذلك حث الاسلام على اتقان العمل والمثابرة عليه وتحمل أعبائه ومشاقه[8] .

---

(٦) آية ١٣ سورة الجاثية .
(٧) الاسلام في المعركة ضد الجوع : م . س . ذ ص ٢٧ – ٢٩ .
(٨) د . بيصار : م . س . ذ ص ٣٢ .

وجزاء أتقان العمل هو تحقيق الرفاهية للعاملين ولغيرهم من أفراد أمتهم وتحريرهم من كل قيد ظالم أو استغلال مستبد ، أما جزاء اتقان العمل في الآخرة فهى المثوبة من الله باجزال العطاء .

الفصل الرابع

الاسلام يقول :

العمل في حد ذاته قيمة للرخاء

الاسلام يقول : العمل في حد ذاته قيمة للرخاء

إن العامل في عمله أهم وسيلة من وسائل الانتاج وعامل من أهم عوامل الازدهار ويعتبر العامل في الوقت نفسه غاية للعمل تَعودُ عليه ثمرته وينعم بخيره بما ينتفع به من خدمات يقدمها اليه المجتمع في مختلف شؤون حياته ﴿**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**﴾ فصلت آية ٤٦ .

ولذلك دعا الاسلام الى زيادة الانتاج فقد أستعاذ الحبيب المصطفى من العجز والكسل خيث قال «اللهم أني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» (رواه مسلم) ، والمصطفى ﷺ لايستعيذ بالله إلا من شيء عظيم سيىء الأثر في حياة الأمة[١] .

ونتحدث عن مجالات وصول الانسان المسلم بالعمل الى الرخاء :

أولا : الدين يطلق كل طاقات الانسان الى العمل والانتاج[٢] .

تتعدد النواحي التى أطلقها الاسلام :

---

(١) د . بيصار : م . س . ذ ص ٣١ .
(٢) الاسلام في المعركة ضد الجوع : م . س . ذ ص ٢٣ — ٣٥ .

- فهو يوصي المؤمن بأن يستعيذ من العجز والكسل ومن كل معوقات العمل مادية ونفسيه «راجع الحديث في مقدمة الفصل» .

- فطاقة الانسان البدنية لابد أن تُطلق وتُستَغل في مجالها النافع فرسول الاسلام يقول «ماأكل أحد طعاما ما قط خير من أن يأكل من عمل يده» رواه البخاري عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه .

- طاقة الانسان العقلية «وقد خلدها القرآن الكريم في سياحة هادية خلال ملك الله العريض منذ أول آياته نزولا وحتى الآية الكريمة ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ من الآية ٢٨ سورة فاطر .

- رأس المال النقدي الذي يتجمع نتيجة الجهد الانساني المبذول لايرضي الاسلام بحبسه عن التداول إن الاسلام يبغض ارتداد الثروات وتراكمها في الخزائن ويَنْشُد إشعاع الثروات الغامر على أوسع مدى ، إنه يعمل على مكافحة الكنز وتنشيط الانفاق .

كل هذه طاقات يباركها الايمان الذي يجعل المؤمن أثبت قدما وأصلب عودا وأطول نفسا في جهاده المقدس لايلتصق بالارض ولا يشمخ في السماء ، لايطغيه الفرح ولاتفجعه المصيبة ، إن اصابته السراء شكر فكان خيرا له وان أصابته الضراء صبر فكان خيرا له .

ثانيا : الاسلام والاستفادة من كل الامكانيات لزيادة الانتاج

لقد فتح القرآن الكريم عقول المؤمنين على الكون الكبير ليقرأوا كتابه ويتدبروا أسراره ويستلهموا حكمته في الزراعة والرى ثم بقية المجالات فقد قال تعالى ﴿**وفي الارض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾[٣] وقال سبحانه وتعالى ﴿**أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم ان تنبتوا شجرها ، أاله مع الله . . بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله . . بل أكثرهم لايعلمون**﴾[٤] .

وقال سبحانه وتعالى ليشير الى استخدام العلم وتشجيع العلماء على تسخير طاقات الكون لخدمة الانسان ولتحقيق الرخاء ﴿**هل يستوى الذين يَعْلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب**﴾[٥] .

---

(٣) آية ٤ سورة الرعد .

(٤) الاسلام في المعركة ضد الجوع : م . س . ذ ص ٢٩ ، الآيات ٦٠ ، ٦١ سورة النمل .

(٥) الزمر آية ٩ .

فالاسلام حريص على زراعة الأرض واستصلاح التربة ، فقد ورد في حديث عن الرسول ﷺ «من احيا أرضا ميته فهى له» رواه البخاري وأحمد ، ويشترط الامام أبو حنيفه أن يكون الاحياء بأذن الدولة منعا للفوضى والمنازعات .

بل ويدفع الاسلام عجلة الانتاج بكل قوة الى آخر لحظة من الزمان ففي حديث الرسول ﷺ «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فَسيلة ، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر» وهكذا يأمر الاسلام بغرس فسيله النخل التى لاتُثمر إلا بعد سنين ولو كانت نذر القيامة تجلجل وتصيح .

وقد قال الرسول ﷺ «مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان الا كان له به صدقة[٦]» فعلى المؤمن أن يواجه الكون بكل طاقاته[٧] بايمانه وعقله وجهده .

يقول ابن تيمية : إن الناس لابد لهم من طعام يأكلونه وثياب يلبسونها ومساكن يسكنونها . . فاذا لم يُجَلب لهم من الثياب مايكفيهم احتاجوا الى من ينسج لهم الثياب ولابد لهم من طعام إما مجلوب من غير بلدهم وإما من زرع بلدهم ، وهذا هو الغالب وكذلك لابد لهم من مساكن يسكنونها فيحتاجون الى البناء ولهذا قال واحد واكثر من الفقهاء وان هذه الصناعات فرض كفاية ، فانه لاتتم مصلحة

---

(٦) رواه مسلم .

(٧) المرجع السابق ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

الناس الا بها . إن هذه الاعمال هى فرض على الكفاية متى لم يقم بها غير الانسان صارت فرض عين عليه ولاسيما أن غيره عاجزا عنها ، فاذا كان الناس محتاجين الى فلاحة قوم أو نساجتهم أو بناءهم صار هذا العمل يجبرهم ولى الامر عليه اذا امتنعوا عنه بعوض المثل .

وهكذا . . فقد فتح الاسلام أبواب العمل والانتاج على مصاريعها كسبيل للافادة من نعم الله الواسعة ومن الطاقات الكونية والانسانية . . فالاسلام يطلق كل طاقات الانسان الى العمل والانتاج في مختلف المجالات .

ولذلك أبرز الاسلام أن رعاية الجميع للطاقات الانتاجية لينتظم استغلال موارد الثروة على أفضل وجه ممكن وللدولة أن تلجأ في ذلك الى كافة الوسائل والطرق ففي الحديث الشريف «الناس شركاء في ثلاثة المال والكلأ والنار» أي مصادر الانتاج جميعها من زراعة وصناعة وتجارة . . . الخ[8] .

ثالثا : حقوق وواجبات العامل

لقد رأينا أن الاسلام يُطالب العامل باتقان العمل ويحذره من الاهمال فأنه بجانب ذلك حرص الحرص كله على حماية

---

(٨) المرجع السابق ص ٣٧ .

العامل من كل عبء أو ظلم يقع عليه كما حرص على رعايته والعناية به صحيا وتدريبيا وفكريا وتثقيفيا فقد أوجب الاسلام :

– حق العامل في ان يأخذ أجره ففي الحديث القدسي عن رب العزة تبارك وتعالى يقول فيه : «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة** ...» .(ومنهم) ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره[٩] .

– بل أوجب الاسلام على صاحب العمل أن يفي للعامل بحقه كاملا غير منقوص فور الفراغ منه مباشرة فيقول الحبيب المصطفى «أعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقه» رواه الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه .

– كما كتب الامام على رضى الله عنه الى أحد ولاته يقول له «اسبغ على عمالك الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ماتحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو خانوا أمانتك» .

– واعتبر الاسلام العمال ليسوا مجرد تروس ماكينات أو آلات للانتاج فهم ليسوا دواليب تدر والثروة والنفع على

---

(٩) و (١٠) محمد موسى عثمان نظرية تقويم الفرد وتنظيم المجتمع في الاسلام (القاهرة – مجمع البحوث الاسلامية – سلسلة البحوث الاسلامية – اغسطس ٨٠) ص ٤٤ من ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ص ٤ .

أصحاب الاعمال ، فيسموا بهم ويعطوهم حقوقهم فقد قرر الاسلام انسانية كاملة للعامل وأهتم بالحفاظ على كرامته فقد طالب الرسول باحترام انسانية العامل ومعاملته بالعدل والترفق به وعدم أرهاقه في العمل فقد قال الرسول «أخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت ايديكم» رواه البخاري[١٠] .

- كما اهتم الاسلام بتحديد ساعات العمل[١١] فيقول الرسول في الحديث الصحيح «ولاتكلفوهم من العمل مايغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم» . وقد حث الله تعالى العاملين على إتقان العمل واخلاصهم برعاية حقوقهم فيستحقون أجرا في الاخرة حيث قال سبحانه وتعالى **﴿ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾**[١٢] .

كما أن الدين الاسلامي يفرض على المجتمع أن يراعي طاقات البشر فيتعهد الانسان بالتعليم والتدريب والتوجيه بما يرفع كفايته الفنية والانتاجية فطلب العلم فريضة وهو حق للفرد وواجب عليه ، والدولة تلتزم بتهيئة كل سبيل اليه . ويلقى ابن حزم مسؤولية التعليم الالزامي على الدولة في نص صريح «فرض على الامام أن يأخذ الناس بذلك وأن يُرتّب

---

(١٠) المرجع السابق .

(١١) د . بيصار : م . س . ذ ص ٣٣ .

(١٢) سورة يونس (آية ٦١) .

أقواما لتعليم الجُهال»[13] .

كما أن على الدولة أن تُهيىء مجالات العمل للقادرين عليه وتضمن لهم أجراً مجزيا يفي بوحدات الطاقة المبذولة ، كما تضمن ألا تتجاوز ساعات العمل حدود الطاقة الانسانية كما اكد الاسلام على أن الدولة ترعى المتعطّل عن العمل حتى يجد السبيل اليه وترعى العاجز عن العمل لمرض أو لعاهة أو لشيخوخة وقد أبرز خالد بن الوليد هذا الاصل الجليل في عهده للأقطار المفتوحة «وجعلت لهم أيما شيخا ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهله يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعُيِلَ من بيت مال المسلمين هو وعياله»[14] .

فعلى الانسان ان ينتفع من نعم الله المادية والروحية ويحسن كسب الرزق وتداوله وتوزيعه وعلى العاملين في أي موقع من مواقع العمل أن يدركوا أن اتقانهم في العمل هو السبب المباشر والرئيسي للرخاء وللرفاهية فعليهم أن يقدموا جهدهم في اعمالهم وأخلاصا في واجباتهم لأنهم يقدمون ذلك لأنفسهم وأن يسعوا الى أتقان العمل ويحاولون الوصول به الى أعظم درجات الكمال[15] .

---

(١٣) محمد علم الدين : م . س . ذ ص ٥٦ .
(١٤) الاسلام في المعركة ضد الجوع : م . س . ذ ص ٣٦ .
(١٥) عطيه صقر : الاسلام والتحرر من الجوع ص ١٢٦ .



الفصل الخامس

الرسول ﷺ أعطى للعمل قيمة كبيرة

الرسول صلى الله عليه وسلم[1]
أعطى للعمل قيمة كبيرة

لقد كان لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقد رأينا في سيرته العاطرة نموذجا للعامل الجاد الساعي الى طلب الرزق والعمل للدنيا والاخرة . . ولم لا ؟ فالسنة النبوية المعطرة هي كل قول أو فعل أو موافقة لرسول الله ﷺ ونكتفي بذكر بعض النماذج لأن مجرد سرد قيمة العمل عند الرسول يحتاج الى مجال أوسع بكثير من مجالنا هذا :

– فقد عمل الرسول ﷺ في صباه برعى الغنم ، وقد قال فيما معناه «مامن رسول بعثه الله عز وجل إلا ورعى الغنم»[2] .

– وعمل عليه الصلاة والسلام في التجارة سواء مع السيدة

---

(١) أعتمدنا هنا على مجموعة من الكتب التي نحيل إليها للمواقف في عهد الرسول لمعرفة تقديسه لقيمة العمل والسعي .

(٢) روى البخاري عن المقدام بن معد كرب عن النبي ﷺ انه قال **«ماأكل احد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» ، كما روى الامام مسلم عن رسول الله ﷺ «كان زكريا عليه السلام نجاراً»** . .

ومنها : أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني : نبذه من المسيرة النبوية (القاهرة – مجمع البحوث الاسلامية – سلسلة البحوث الاسلامية العدد ٢٧ اكتوبر ٧٢) ص ٣٣ – ٣٤ ، ١٧٨ – ١٨٢ .

– وأيضا احمد حسن الباقوري : سيرة النبي . . . الخ .

خديجة أو قبلها وعمل بالتجارة وسافر الى الشام وقد قال الرسول في التجارة فيما معناه «التجارة تسعة أعشار الرزق» وأشار الى ان التجارة تتأصل منها كافة المعاملات والانتاج ذاته يعتمد عليها .

– وحتى في رحلات الرسول ﷺ مع أصحابه كان يقوم بالاشتراك في الاعمال الخدمية الخاصة بالرحلة مثل جمع الحطب وذبح الشاه وسلخها وطهيها . . وهكذا كان يشترك في اعمال الانتاج . كما قال «وأنا عليَّ جمع الحطب» ان السيرة النبوية العطرة هى التى تعطينا المثل والقدوة الحسنة لنقتدى بها ونسير على هداها .

ولذلك فان الرسول قدم لنا نموذجا للمؤمن الذي يكون في شتى أحواله وفي سائر مواقعه ذا أهمية قوية وذا عزم أكيد فقال الشاعر يصف المؤمن :

اذا هم ألقى بين عينيه حتفه
ونكب عن ذكر العواقب حينا

وقال الرسول في كلمات جليلة دستورا للامة الاسلامية ومنهجا فلسفيا وعمليا وحضاريا للمسلمين حيث قال «كلكم

حارث وكلكم همام»[٣] .

وهكذا ، فان الرسول قدم لنا قولا وفعلا خير نموذج يمكن أن يحتذي به في مجال معرفة قيمة العمل التى أعطاها الرسول في خلال أحاديثه وأفعاله الكثير والكثير . . ألم يشترك في كل الغزوات ، ألم يشترك في حفر الخندق حول المدينة . . ؟ إنه كان حاكما واماما للمسلمين وعاملا بيده أيضا . .

ﷺ لابد أن نقتدى بسيرته العطرة .

(٣) محمد كامل الاسم يدعو لعلو الهمة (منبر الاسلام - القاهرة - العدد ربيع الاول ١٤٠٢ يناير ١٩٨٢) ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، اخرج الحديث البخاري وفي رواية أخرى «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» رواه البخاري أيضا عن حديث نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ .

الفصل السادس
قيمة العمل بين الاسلام
والرأسمالية والشيوعية

قيمة العمل بين الاسلام والرأسمالية والشيوعية

اذا قلنا أن الحضارة الاسلامية تقوم على أساس روحي يدعو الانسان الى حُسن ادراك صلته بالوجود ومكانة قبل كل شيء ، فانه اذا بلغ من هذا الادراك حد الايمان دعاه الى دوام تهذيب نفسه وتطهير فؤاده ، والى تغذية عقله بالمبادىء السامية . ولذا فالاسلام قد طَلَبَ من المؤمن العمل الدائب البناء والتقدم والابداع في شتى دروب الحياة .

ولذلك يعلن الامام أبو الاعلى المودودي عن الرجل المتدين والرجل الدنيوي :

– إن مضمار العمل والجد للرجل المتدين وللرجل الدنيوي من الوجهة الاسلامية لايختلف اصلا . بل هما يشتركان في العمل في ميدان واحد وحلبة واحدة بل الحق أن الرجل المتدين يؤدي واجبه في هذا المعنى بقيامه بواجباته واهتماماته لايبلغها الرجل الدنيوي أبدا[1] .

وقد رأينا أن الاسلام جعل العمل فلسفة الحياة والاخرة ، أي أن العمل هو عماد الدين والدنيا ، وأعتبره فريضة اسلامية واجبة ووضع له ضوابط وحدود لجعله عملا طيبا خالصا لوجه الله لأن عمله هو الذي يحاسب عليه وطالب اتقانه مع

---

(١) محمد بهي الدين سالم : حضارة الاسلام وحضارات الغرب (منبر الاسلام عدد ربيع الاول ١٤٠٢ – القاهرة) ص ١٣٦ – ١٣٨ .

عدم ابخاس العامل حقوقه الاخرى .

فالدول الرأسمالية تعاني من تفاقم مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية وهاهى ذا مشاكل البطالة تبرز في هذه المجتمعات بحدة وبشدة . وبل أن المشكلات هذه مستعصية عن الحل واضطراب الامور هناك ، لماذا ؟ لانهم آمنوا برأس المال ولم يؤمنوا بقدرة الانسان على صنع هذا المال وتوظيفه للخدمة العامة ، فقد اتخذوا رأس المال وسيلة للاستزادة من السلطة والتحكم . ويلغون الفرد وقدراته الهائلة وآدميته وحقوقه الخاصة والعامة باسم السياسة التى لم تعد كافية وحدها لاقامة الحكم الصالح فالحرية هناك لاوجود لها فقد قيل أن الصوت الانتخابي لاقيمة له إذا كان صاحبه جائعا لايجد مايسد رمقه ، جاهلا لايعرف العلم ، وصحافتها مرآة هذه الحرية يسيطر عليها أصحاب النفوذ . الانسان بقدر ما ينتج ليزيد رأس المال ولا يأخذ هو إلا النادر اليسير .

أي . لقد كرمت الرأسمالية العامل سياسيا وبخست حقوقه الاقتصادية التى يعمل بها نتيجة جهده وأعطت نتيجة عمله للرأسماليين .

أما الشيوعية التى كفرت برأس المال وألغته ، أو سحبته من أيدى الناس وأضافته الى ذمة الدولة توجهه كيف تشاء وترسم له السبل وتفرض له الخطط وجردت الجميع من أموالهم فامتنع الاستقلال تحت اسم المساواة أو ديكتاتورية

البروليتاريه فحبست الشيوعية نفسها في سجن المادية الضيق الذي يؤدي الى الايمان بالعنف كوسيلة مبررة لاقامة النظام وتثبيت دعائمه .

وهنا فالانسان فقد قيمته إلا فيما تمن عليه الدولة به من رزق محدد ومحدود . . ألغت وجود الانسان والعمال فكل فرد عليه أن يعمل وفقط عليه واجبات قاسية وله حقوق هشة فالعامل قد اكتسب بعض الحقوق المادية – الاقتصادية – ولكنه فقد كل الحقوق الاخرى . . عكس الرأسمالية العامل هنا ترس في المجتمع وفي الرأسمالية ترس في الماكينات . . العامل هنا له حقوق هشة وعليه واجبات ضخمة وهناك كذلك . . العامل هنا يعمل وفقط ليحصل على قوت يومه وهناك كذلك . . العامل هنا لاعتبار لفعل الخير أو العمل العام الدنيوي والآخرون وهناك كذلك . . لقد فقد العامل الكثير نتيجة وصفه بأنه عامل في الرأسمالية والشيوعية .

أما الاسلام فقد صنع القرآن «الانسان» كباعث على الامل . . بل أن الانسان مُحَرم عليه في الاسلام أن ييأس أو يقنط مهما ضاقت عليه الدنيا وسُدَت في وجهه المسالك وظن أن رحمة ربه قد صرفت عنه ففي القرآن الكريم **﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾**[2]» *.

---

(٢) وقال تعالى : **﴿إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾** يوسف ، ١٩٨٧ .   * الحجر آية ٥٦ .

والاسلام جاء ليهتم بالانسان العالمي الذي يبحث عن رزقه أينما وجده ، فالارض كلها ميدان مفتوح للانسان **﴿هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها﴾**[٣] .

الاسلام أعطى للانسان المسلم حقوقة المدنية كاملة من حرية وعدالة ومساواة وعمل دائب[٤] يثاب عليه دنيويا وآخرويا ، أعطاه كافة حقوقه المادية والمعنوية ليعيش انسانيته وليكرم آدميته ، «لقد كرمنا بني آدم» وفرض على المسلم المسى الدائب والعمل المستمر من أجل نفسه وأسرته ووطنه ودينه ودنياه وآخرته .

إن الاسلام قدس آدمية العامل فلم يستغلها ولم يعصرها فيستنفذ كل جهده .

الاسلام جمع بين خصائص الكون كله وأعطاها للانسان ليعمل وليكون وليأخذ حقوقه وليؤدي واجباته تجاه ربه وعالمه ودينه وأسرته ووطنه ونفسه . .

التوازن هذا مطلوب ومرغوب وهو ماأتى به الاسلام وتميز على كافة النظم الوضعية السائدة في عالمنا المعاصر . فلا

---

(٣) آية ١٥ سورة الملك .

(٤) راجع في ذلك الاسلام والمذاهب الحديثة : فتحي رضوان (القاهرة دار المعارف سلسلة اقرأ - العدد ٤١) ص ٤٦ - ٥٧ - ١٩٩ - ٢٢٧ وغيرها من المراجع الاخرى في هذا الخصوص .

كهنوتيه في الاسلام ، ولاتواكل بل أخذ بالاسباب وبالعلم . . ولاتكاسل تحت أي دعوة نتيجة الغني أو عدم الحاجة . . بل عمل وسعى دائب من أجل حياة الدنيا ونعيم الاخرة .

فصـــل ختامي

ذروة الإهتمام الإسلامي بالعمل والعمال

ذروة الاهتمام الاسلامي بالعمل والعمال

العمل في الاسلام شرف كبير ، وله قدسيه ، بخلاف غيره من الاديان وبخلاف مختلف الثقافات الاخرى التى تجاهلت شرف العمل بل أن البعض في التاريخ الغربي يرى العمل عارا مثل العمل غير الذهني الذي كان يراه الاغريق وصمه عار إجتماعية توجب لصاحبه التحقير وكانوا يَرون أن الاجهاد البدني الناشىء عن العمل اليدوي يستتبع انحطاط الروح ، كما كانوا يرون أن المواطن الصالح لايكون ابدا من العمال ، وأكثر من ذلك كان الاغريق يعطون أوصافا قبيحة لإله التعدين فيصفونه بأنه مثير أعرج وإله الحديد واللهب عند الرومان كان قبيح المنظر مشوها[٥] . . . فجاء الاسلام ليرفع العمل ويصل به الى القيمة العليا للمجتمع . . . فهل من مقارن بين هذا وذاك ؟ .

وفي هذا الفصل الختامي ، نستعرض بعض أوجه الرفعة الاسلامية للعمل والعمال من أجل تأكيد الذات وتنمية

---

(٥) راجع : لبيب السعيد دراسة اسلامية في العمل والعمال (القاهرة/الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – ١٩٧٠) ص ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

القدرات والوصول الى أعلى درجات السمو العالمي والنفسي والروحي والجسدي :

أولا : صحة العامل : أعطى الاسلام لصحة العامل اهتماما خاصا لانها رأس مال العامل ورأس مال العمل ، ولذلك روى الميداني في مجمع الامثال المثل العربي الذي يقول «الزم الصحة يلزمك العمل» .

ولقد بدأ الاسلام بالاهتمام بصحة العامل . . . خلال اهتمامه بالنظافة والطهارة لانها أساس الصحة فجعلها :

١ - رأس الرعاية الصحية للعمال أن تكون هناك فرصة النظافة ولكن الاسلام فرض النظافة والطهارة وجعلها فاتحة أغلب العبادات فيه مثل : الوضوء وهو غسل الاعضاء الظاهرة خمس مرات يوميا والغسل وهو في كل حالاته (التى نستغني عن الخوض فيها) فانه يحقق النظافة ويزيل الخبث ويرفع الحدث ويصون الاجساد .

٢ - كما ان الاسلام أمرنا بالنظافة أمر مباشراً في كل حياتنا فيبرز إبن القيم الجوزية في كتابه زاد المعاد (جـ ص ١٥٥) في مسند البزار عن النبي ﷺ أنه قال «أن الله طيب . يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ولاتشبهوا باليهود يجمعون الاكب (الزبالة) في دورهم «كما أكد الماوردي في الاحكام السطانية أن من حق السلطة في

الاسلام أن تتدخل لتعم النظافة في كافة البلاد .

٣ - والاسلام يحترم كل الظروف الصحية للعامل ، شديد العطف على أي مرض يصيب الانسان ، فيقول الله عز وجل ﴿**ليس على الاعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**﴾[٦] ويقول سبحانه : ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم**﴾[٧] كما روى في كتب التاريخ الاسلامي ان بيت المال للمسلمين يودع أربعة أنواع من الموارد منها اللقطات ومايؤخذ من تركة الميت الذي يموت ولايترك وارثا وقد جدد الفقهاء مصاريف بيت المال وفي مقدمتها : نفقة المرضى وادويتهم وهم فقراء[٨] .

٤ - والتاريخ الاسلامي يحدثنا عن رعاية قادة المسلمين للعامل صحيا وماديا خلال مرضه وخلال فترة نقاهته حتى لايضطر للعمل قبل أن يتم شفاؤه ، فيتعرض للمرض مرة ثانية ، ومن ذلك أنه في مستشفى قلاوون بالقاهرة في العصور الأسلامية الاولى أنه كان يعطى لكل مريض حين خروجه من المستشفى خمس قطع من الذهب حتى لايضطر الى الالتجاء للعمل الشاق وكذلك إقامة أبا يعقوب يوسف من ملوك دولة

---

(٦) سورة الفتح آية ١٧ ، سورة النور آية ٦١ .
(٧) آية ٦ سورة المائدة .
(٨) لبيب السعيد : مرجع سابق ص ٧٣ ، ٧٤ .

الموحدين بمدينة مراكش مستشفى جهزه تجهيزا رائعا وكان يأمر للفقراء في فترة النقاهة بمال يعينهم على معيشتهم «حتى أنه من بين المؤلفات الطبية في الاسلام مؤلف «تدبير الناقه» الذي ألفه حنين بن حنين .

٥ – كما روى من التاريخ الاسلامي العديد من الحوادث والوقائع عن تقديم الطعام للعمال ، وكذلك تدبير المساكن الصحية للعمال بعيدا عن المصانع والمطاحن والمخابز وان المساكن لابد أن تكون صحية تماما .

ثانيا : تشغيل الصبية والنساء :

تشغيل الصبية والاحداث والنساء أمر مرهق للغاية لأن الصبية والاحداث لم يك جسدهم قد اكتمل نموه ، أما النساء فهن بطبيعتهن ضعفاء لايقدرون على تحمل مشاق العمل . ولقد تعود العالم أجمع قبل الاسلام على ارهاق الصبية والنساء في الاعمال المرهقة ولكن جاء الاسلام ليحدد أسس رحمة للاحداث ففي حديث عائشة رضى الله عنها والذي أوردته* الفتاوي الهندية (جـ ٣) (قال سيدنا محمد رحمة الله تعالى : وليس للمستأجر أن يضرب الغلام). وعن عائشة أيضا «أن في الجنة دارا يقال لها : دار الفرح ، لايدخلها الا من فرح الصبيان» . ويورد صاحب الفتاوى الهندية في هامش جـ ٦ ص ٤٢٩ عن الفتاوى البزازية ان

المعلم (صاحب العمل) ليس له أن يضرب الصبيان ضربا فاحشا «وكذلك أورد نفس المرجع أن معلم الصبي ليس له أن يؤذي الصبي اذا رأى منه بطالة الا أن يأذن له والد الصبي .

ويعطي الاسلام للحدث أجراً كاملًا وحقوقاً كاملة للعمل مثل الاجازة والراحة والحرص على سلامته كما أجمعت الفقهاء على أن لايعمل الصبي في الاعمال المرهقة الشاقة وان يعمل الصبي بقدر طاقته وأن يعمل بالنهار ودون أيام الجمع والاعياد ولايمنعه صاحب العمل من اقامة الصلوات ، ولابد من عقد عمل يحمي حقوقه[٩] .

كما أن من حق المرأة العمل ولكن الاعمال التي تقدر عليها كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها «المغزل في يد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله» (العقد الفريد ج ٢ ص ٤٦٨) كما كانت تعمل أم المؤمنين زينب بنت جحش في دبغ الجلود وخرزها في سبيل الله . والتاريخ الاسلامي ملىء بأمثلة عمل المرأة وانفاقها على اسرتها فلها الحق في العمل على أية صورة في كل مكان مادامت بعيدة عن مكان الفتنة محافظة على الوقار والحشمة غير جالبة ضررا خلقيا أو اجتماعيا .

---

(٩) لبيب السعيد : دراسة اسلامية في العمل والعمال - مرجع سابق ص ٥١ - ٩٢ .

ثالثا : نشاط العمل في الاسلام :

اجاز الاسلام كافة الانشطة الاقتصادية التى تدر دخلا مناسبا في العمل وتعطي الدولة قوة اقتصادية وتسد حاجات الناس ، فأجاز التجارة والصناعة والصناعات الصغيرة وعرف المجتمع الاسلامي مؤسسات صناعية تحدثت العديد من كتب الفقة وكتب التاريخ حديثا مفصلا عن مشتملاتها ومواصفاتها وحالة العمل فيها مثل بيت الدهانة ، الطاحونة ، المجمدة ، المثلجة ، الملاحة عين الفبر أو النفط ، بيت الطراز ، صناعات النسيج ، مناجم النحاس والفضة والذهب والحديث والنشادر والحديد وصناعات الانشاء والتعمير[١٠] .

رابعا : محاربة البطالة :

اذا كانت البطالة تشقى العامل وأسرته لانها قد تكبهم في الرذائل وقد وقع المجتمع نفسه في أخطار اجتماعية واقتصادية ، فلقد بدأت عمليات مكافحة ومحاربة البطالة منذ ثلاثينات هذا القرن فقط في المجتمعات الغربية ..

اما الاسلام فقد قرر مكافحة ومحاربة البطالة منذ زمن طويل منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ولقد أمر

---

(١٠) من هذه الكتب : لسان العرب ، الخطط للمقريزي ، صبح الاعشى للقلقشندي ، التبصير بالتجارة للجاحظ ، الفتاوي الهندية . . وغيرها .

الرسول – طبقا لاحاديث رسول الله ﷺ ، المتعطل برفع شكواه لولي الامر إي الى الدولة لتدبر له أمره وأوجب على الدولة أن تنظر في تهيئة ظروف العمل لهذا المتعطل ، وتعمل الدولة على الافادة من طاقة العامل المتعطل وتوفر له آلات العمل وتحدد له العمل وأنسب مكان له وتضع له مايكفل احتياجاته ، ولقد قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه «والله لأن يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يسأل أحد أعطاه أو منعه[11]» . والمتعطل بارادته عاصى في الاسلام ولذلك قال الاسبقون في العلم «أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفي الفارغ» أي الذي يكفيه غيره والمتعطل ، كما يحذر الاسلام من البطالة وسوء نتائجها «إذا قصر العبد في العمل ابتلاه الله بالهم»[12] .

كما روى جابر عن رسول الله ﷺ قوله «أخشى ماخشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل» صدق رسول الله . كما وردت العديد من الامثال وغيرها ومنها : «عناء العمل خير من زعفران البطالة» ، «من اعتاد البطالة لم يفلح» ، «من ترك حرفته ترك بخته» ، «من سعى رعى» ، من إحترف اعتلف ، من ضعف عن كسبه اتكل على

(١١) رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي .
(١٢) راجع لبيب السعيد مرجع سابق ص ٩٥ – ١٠١ .

زاد غيره ، ومن اتكل على زاد غيره طال جوعه و «إن يكن الشغل مجهدة فإن الفراغ مفسدة» .

كانت هذه نظرات في حقوق العمال وفي قدسية العمل وفي قيمته كقيمة عليا في المجتمع الاسلامي وحقا قول الله عز وجل ﴿**فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**﴾[١٣] وقوله الحق ﴿**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله**﴾[١٤] .

---

(١٣) آية ١٥ من سورة الملك .
(١٤) آية ١٠ من سورة الجمعة .



خاتمة الباب

العمل علاج لكل آفات ومشاكلنا الإقتصادية

العمل علاج لكل آفات ومشاكلنا الاقتصادية

- لقد وضعنا خطتنا على أن يكون هذا البحث في حجم مختصر حتى ندرك الفائدة منه ولكن سياقه قد طال وصعب علينا تجميعه لأن مجالاته متعددة و دروبه متشعبة ومناهجه متنوعة ولذا فقد لزم علينا أن نختصر في المبحثين الأخيرين لما رأيناه من الوصول الى الهدف مباشرة بغير تفصيل .

لقد أودع الله في الكون طاقات هائلة ، ثم أودع في الانسان طاقة عملاقة تعالج كل مافي الكون من طاقات وجاءت هداية الله تقدس كرامة الانسان وتُعلي شريعة الاسلام العدل وتطلق طاقات العمل . وبقى على الانسان المسلم ان ينطلق . . ولكن كيف ينطلق ؟ .

«ينطلق بكافة طاقاته في التعامل مع الكون بكل طاقاته وحسب الدين أن يُبصر الانسان بمعالم الطريق وأن يرسم خطوطا رئيسية وأن يقدم له هداية الضمير ووقايته مايؤمن الطاقة من أن تستهلكها الاهواء الصغيرة في السراديب والمنحنيات والعقبات» .

فعلى الانسان وحده يقع عبىء العمل والعلوم . . فمن كان في يده بذره أو غصنا أو جذرا فيغرسها فأن له بذلك أجرا ومن كان به صحة فليعمل وليبذل جهدا فان له الدنيا والآخرة من خلال عمله .

إن الانسان المسلم هو الأمل في حل كافة المشاكل

الاقتصادية ولكن بلسانه وعمله . . إن تمسك بالعمل الدائب سيكون للدول الاسلامية شانا آخر . . وأقول بصوت عال . . أن حل المشاكل الاقتصادية في الدول الاسلامية ليست بمجرد خفض عدد السكان ، بكافة الاساليب والوسائل ، بل يكمن الحل في استغلال الطاقات والسواعد الاسلامية استغلال رشيداً ، اي استغلال عمل وجهد وعرق المسلم المؤمن في مجالات متنوعة وعديدة . . إن كثرة البشر على أرض الاسلام ظاهرة صحية أيها السادة ويمكن أن يكونوا ثروة ضخمة . . إن الثروة البشرية لو أمكن استغلالها لكانت هى بترول الأمل المتفجر في الصحاري وأن المسلمين لو عملوا باخلاص وتوافرت فرص استغلال طاقاتهم لخرجت كل الدول الاسلامية من كل مشاكلها الاقتصادية» .

إن العمل وبالعمل وحده ، العمل السليم والعمل الكامل هو المخرج لنا من كافة مشاكلنا .

ولنسمع قول الله تعالى ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون**﴾* صدق الله العظيم .

وفقكم الله جميعا ووفقنا الى النور والايمان بالعمل المستقيم .

* سورة إبراهيم الآيات ٢٤ ــ ٢٥ .

أما بعـــد

فان الحمد لله تعالى من قبل . . ومن بعد . . فأما بعد . .

فإن الاسلام نعمة من الله عز وجل أنعم بها على الانسان ، فلم يَشُق تفكيره ويُقَسم وجدانه ويشتت ذهنه برسالات سماوية جزئية تخاطبه كل فترة قصيرة من الزمن وانما أنعم عليه برسالة شاملة جامعة دائمة هى الاسلام . . .

والاسلام هو فطرة الإنسان وشريعة الحياة قديمها وحديثها ومستقبلها لانه شريعة أنزلها الله عز وجل بقدرته وألوهيته ورحمته . .

فالاسلام لايقف من أي حضارة معاصرة موقف العداء ، طالما كانت يدعو الى ما يدعوه اليه من الخير ، بل انه يتقبل منها ماتستطيع أن تقدمه من فائدة ويرفض مافيها من شرور ومن ثم فان الاسلام لايدعو بأية صورة من الصور الى الانعزال الفكري أو المادي ولايُعَادي الحضارات الأخرى لإيمانه بوحدة البشرية واتصال الاواصر بين البشرية من جميع الاجناس . .

كما جاء الاسلام هاديا للنفس البشرية من نوازع الضلال والشرك مؤتلفا مع الطبيعة البشرية لايشذ عنها مصدقا للعقل والعلم ، حاثا على كشف أسرار الكون والسيطرة عليها ، ولذلك فهو دين الفطرة ودين العقل . . كما أن الاسلام نظام

للحياة الكاملة ، استطاع أن يوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد ويتخذ الطريق الوسط فخير الأمور أوسطها والله تعالى يقول ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**[1]﴾ .

والاسلام يفتح زراعيه دائما من خلال نصوصه أمام سُبْل التفاعل مع جميع معارف العالم الحديث ، كما فتح له مثل هذه السبل في الماضي ، كما أن الاسلام يَشُق أمام المسلمين طريق التفاعل الخَير الخَلاق ، مع جميع شعوب العالم الحديث وهو الخطوة الأساسية الأولى التى يتطلبها التجدد الذاتي للانطلاق لغزو العالم ثقافيا وروحيا .

والاسلام ، من جهة أخرى ، هو الاديان كلها من بدء الخلق الى ميراث الله للسموات والارض ، فالاسلام الجامع هو الكفاية الكاملة للازمات الروحية والفكرية التى يعانيها الناس ويتطلعون منها الى مخرج ونرى في المنهج الذي ينفي متاعب الحيرة والشرود ويبعد أسباب الغضب والطرد ويَصْل الانسان بالله صلة قوية .

واذا إستشهدنا بقول أحد قيادات الغرب فلن نجد أفضل من مونتجمري[2] حين يقول «إن البشرية لم تعرف قبل ظهور الاسلام دينا سماويا أو غير سماوي قامت عليه حضارة بالمعنى السليم لكلمة الحضارة ، كانت هناك ثقافات ولكن

---

(١) آية ١٤٣ سورة البقرة .

(٢) محمد دياب : نظرات في الدين والحياة : مرجع سابق : ص ٩٤ .

الفارق كبير بين الثقافة والحضارة ، فالأولى محلية محدودة والثانية واسعة وشاملة وأكثر إنسانية ، وهذا المعنى العميق للحضارة قد تحقق بالنسبة للاسلام ومن ثم كانت الحضارة الاسلامية التى ضمت في رحابها شعوبا مختلفة . . .» «إن الاسلام هو دين الحاضر والمستقبل . . . دين اليوم والغد . . . دين الانسانية ماشاء رب الانسانية أن يقوم لها مقام» . . . وهذه شهادة منهم «ومن أنفسهم سُلَط عليهم»[٣] . الله قادر على تحقيق هذا الكلام . .

واذا كان من اللازم علينا أن نتكيف في كل يوم مع ثقافات وفلسفات أخرى من أجل كل مايتصل بحياتنا المادية ، واذا كان مصير كل منا يوجد مرتبطا بمصير شعب بأكمله تتساكن فيه مختلف العقائد والجنسيات ، بل مصير قارة أو قارات ، فإن لكل عصر واقعة وحقائقه كما يقول القرآن ﴿**لكل أجل كتاب**﴾[٤] ولذلك فلن يحقق الانسان ذاته بأصالة وصدق إلا عندما ينجح في إتخاذ أحسن المواقف إزاء هذه الاوضاع من واقعية وشمول . .

وبالفعل ، يستطيع الاسلام أن يستعيد قدرته على أن يروى

---

(٣) راجع لمزيد من آراء المستشرقين وشهاداتهم لسمو الاسلام وعالميته : محمد فهمي عبد الوهاب (محمد رسول الله في نظر فلاسفة الغرب والقاهرة – كتب اسلامية بالمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – ١٩٦٨ .

(٤) الرعد آية ٣٨ .

غليل ظمأ المسلمين الى المثل الاعلى المزدوج «أي الحصول على خيرات الدنيا وجزاء الآخرة معا» . .

فاذا قلنا أن الاسلام دين العالم أجمع فذلك ينبع من أن هذا الدين دين شامل صالح لكل زمان ومكان وفيه القدرة على سياسة كافة الدول سياسة ملائمة لأحوالها وظروفها الاجتماعية ، والدليل على ذلك واضح في انتشاره في كافة الاقطار وتمكنه من أن يعالج قضايا مجتمعاتها في رحابه وقدرة دون أن يضيق أحد من أبناء هذه الاقطار بل وجد الجميع في ظلة الأمن والعدل والمساواة والحرية والسلام .

واذا كان لنا أن نقول عن الانسان في الاسلام فنقول إنه إنسان القرن العشرين ، فاذا كان الانسان قد وصل في هذا القرن الى درجة من التكريم لم يصل اليها عصر آخر سبقه ، وأن هذا التكريم يتمثل في تلك الحقوق التى توفرت له فيها سواء مايتصل بالحرية المحددة ومايتصل بالثقة فيه وفي ذكائه وامكانياته . فإن الانسان في الاسلام كان هكذا وزيادة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، وتأتي هذه الزيادة من أن القرن العشرين أخذ من الانسان باليسار وأعطاه باليمين ، أما الاسلام فقد أعطاه كل شيء لأنه أعطاه كانسان . . فحق على الانسان في كل مكان أن يتمسك بالاسلام . . . روحا . . ونصا . . . ودستورا وشريعة وقانونا . . . لأن الاسلام ماهو إلا فطرة الانسان . . كل إنسان في كل زمان ومكان

وشريعة . . الوجود . . . كل الوجود . . في الماضي والحاضر . . والمستقبل . . .

وأخيرا ... ندعو الله بالهداية والفضل على العالمين . . لأنه صاحب الهداية ومنعم الفضل . . .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . .

عبد من عباد الله

اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

قائمة بأهم المراجع
حسب الترتيب الابجدي للمؤلف

- القرآن الكريم .

- صحيح البخاري .

١ - إبراهيم هلال : التربية الاسلامية بين التأثير والتأثر (القاهرة - دراسات في الاسلام - العدد ٢٣٤ - ١٩٨٠) .

٢ - ابن خلدون : المقدمة : (القاهرة - المطبعة الازهرية - ١٩٣٠) .

٣ - ابو الاعلى المودودي : نظرية الاسلام السياسية (القاهرة - سلسلة صوت الحق - ١٩٧٤) .

٤ - ابو حامد الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد (القاهرة - طبعة صبيح - بدون تاريخ) .

٥ - ابو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين (القاهرة - مطبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية ١٣٧٤هـ) .

٦ - احمد البغدادي : المضمون السياسي لمفهوم الأمة في القرآن (مجلة العلوم الاجتماعية) . الكويت - يونيو ١٩٨٢) .

٧ - احمد حسن الباقوري : الدين أصل الفطرة الانسانية (الامارات العربية - مجلة منبر الاسلام - العدد الاول - يناير ١٩٧٦) .

٨ - د . احمد شلبي : مقارنة الاديان والاستشراق (القاهرة - مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية) .

٩ - احمد شلبي : مقارنة الاديان (الاسلام) القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٩/ط ٦) .

١٠ – احمد فهمي أبو سنة : علم الاقتصاد الاسلامي (القاهرة – مجمع البحوث الاسلامية - ١٩٨٣) .
١١ – د . أحمد فؤاد باشا : التراث العلمي والحضارة الاسلامية (القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٤) .
١٢ – د . احمد محمد الحوفي : القرآن والتفكير (القاهرة – دراسات في الاسلام – ١٩٧٥) .
١٣ – د . النعمان عبد المجيد القاضي : الاسلام عقيدة وحياة (القاهرة – دراسات في الاسلام – العدد ٧٥) . لعام ١٩٨٥ .
١٤ – أنور الجندي : أحاديث الى الشباب عن العقيدة والنفس والحياة في ضوء الاسلام (القاهرة – دراسات في الاسلام – العدد ١٩٦٥ لعام ٧٤) .
١٥ – أنور الجندي : عالمية الاسلام : (القاهرة – دار المعارف – اقرأ – العدد ٤٢٦) .
١٦ – توفيق محمد سبع : واقعية المنهج القرآني (القاهرة – المطابع الاميرية – ١٩٧٣) .
١٧ – د . حسن صعب : تحديث العقل العربي (بيروت – دار المعلم للملايين ١٩٦٩) .
١٨ – د . حسين فوزي النجار : الاسلام والسياسة (القاهرة – دار المعارف – ٨٥) .
١٩ – د . حسين فوزي النجار : الدولة والحكم في الاسلام (القاهرة – كتاب الحرية – ٨٥) .
٢٠ – خلف محمد الحسيني : القرآن يبدد الظلام والاوهام (القاهرة – دراسات في الاسلام – العدد ١٩٦٦ – ١٩٧٥) .
٢١ – د . رؤوف شلبي : دبلوماسية الدعوة الاسلامية (القاهرة

سلسلة رسالة الامام - ١٩٨٦) .
٢٢ - روجيه جارودي : وعود الاسلام : ترجمة ذوقان قرقوط (القاهرة - مكتبة مدبولي - ١٩٨٤) .
٢٣ - د . زكريا البري : حقوق الانسان في الاسلام (القاهرة - المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية - ١٩٨١) .
٢٤ - زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم (القاهرة - نهضة مصر - بدون) .
٢٥ - عباس محمود العقاد : الديمقراطية في الاسلام (القاهرة - دار المعارف - ١٩٧١) .
٢٦ - عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام واباطيل خصومه (بيروت - دار الكتاب العربي - ١٩٧٢) .
٢٧ - عبد الحفيظ فرغلي القرني : المسؤولية في الاسلام (القاهرة - دراسات في الاسلام - العدد ٢١٧ سنة ٧٩) .
٢٨ - د . عبد الحليم الجندي : القرآن والمنهج العلمي المعاصر (القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٤) .
٢٩ - د . عبد الحليم محمود : أوربا والاسلام (القاهرة - مطابع الاهرام - ١٩٧٣) .
٣٠ - عبد الرزاق نوفل : الله والعلم الحديث (القاهرة - دار الشعب - ١٩٧٧) .
٣١ - د . عبد الرحمن النجار : كلمات على طريق الايمان (القاهرة - دراسات في الاسلام - ١٩٧٢) .
٣٢ - عبد السميع المصري : نظرية الاسلام الاقتصادية (القاهرة - الانجلو - ٧٢،
٣٣ - د . عبد العزيز كامل : معالم الحضارة الاسلامية

(القاهرة – دار المعارف – سلسلة اقرأ – العدد ٤٠١) .

٣٤ – د . عبد الغني عبود : العقيدة الاسلامية والايدلوجيات المعاصرة (القاهرة – دار الفكر العربي – ١٩٧٦) .

٣٥ – د . عبد الفتاح بركة : الرسول الكريم خاتم النبيين (القاهرة ملحق مجلة الازهر – نوفمبر ٨٦) .

٣٦ – د . عبد الله شحاته : علوم الدين الاسلامي (القاهرة – الهيئة العامة للكتاب – ١٩٨١) .

٣٧ – عبد المنعم محمد خلاف : المادية الاسلامية وابعادها (القاهرة – دار المعارف ١٩٨٥) .

٣٨ – فتحى رضوان : الاسلام والمذاهب الحديثة (القاهرة – دار المعارف – اقرأ – العدد ٤١٥) .

٣٩ – محمد الغزالي : مع الله – دراسات في الدعوة والدعاة (القاهرة – دار الكتب الاسلامية ١٩٨٥) .

٤٠ – محمد دياب : نظرات في الدين والحياة (القاهرة – دراسات في الاسلام – ١٩٧١) .

٤١ – د . محمد عمارة : تيارات الفكر الاسلامي (بيروت – دار الوحدة – ١٩٨٥) .

٤٢ – د . محمد عمارة : الاسلام وحقوق الانسان (الكويت – عالم المعرفة – العدد ٨٩ لسنة ١٩٨٥) .

٤٣ – محمد عبد الشافي اللبان : حقوق الانسان المعاصر (القاهرة – هيئة الاستعلامات) .

٤٤ – د . محمد عزيز الجبالي : الشخصانية الاسلامية (القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٣) .

٤٥ – محمد كامل حته : القيم الدينية والمجتمع (القاهرة – دار المعارف – اقرأ – العدد ٣٨٦) .
٤٦ – محمد متولى الشعراوي : الله والكون (القاهرة – دار المسلم المعاصر – ١٩٨٠) .
٤٧ – محمد موسى عثمان : نظرية تقويم الفرد. وتنظيم المجتمع في الاسلام (القاهرة سلسلة البحوث الاسلامية – اغسطس ١٩٨٠) .
٤٨ – مجد الدين بن يعقوب الفيروز ايادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : تحقيق محمد على النجار (القاهرة – المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – ١٩٨٦) .
٤٩ – د . مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الاسلامية (بيروت – دار العلم للملايين ١٩٧٨) .
٥٠ – مصطفى الحديدي الطير : من امجاد الرسالة المحمدية (القاهرة – دراسات في الاسلام – ١٩٧٥) .
٥١ – د ٥ مصطفى محمود : الماركسية والاسلام (القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٥) .
٥٢ – منصور الرفاعي عبيد : المرأة (القاهرة – دراسات في الاسلام – ١٩٧٨) .
٥٢ – منصور الرفاعي عبيد : التكافي الاجماعي في الاسلام .
٥٣ – موفق بن قدامة المقدس : الاعتقاد (القاهرة – ملحق مجلة الازهر – ١٩٨٦) .
٥٤ – نصر فريد واصل : محمد رسول الاسلام والسلام (القاهرة – دراسات في الاسلام – عام ١٩٧٦) .
٥٥ – د . يوسف القرضاوي : الصحوة الاسلامية بين الجمود والتطرف (قطر – كتاب الامة – العدد ٢) .

مراجع أخرى :

١ – إبن تيمية : الايمان (القاهرة – دار الشعب – ١٩٥٤) .
٢ – ابو الاعلى المودودي : مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة (الكويت – دار الفكر – ١٩٧٧) .
٣ – د . أحمد شوقي الفنجري : الحرية السياسية في الاسلام (الكويت – دار القلم – ١٩٧٢) .
٤ – احمد موسى سالم : الاسلام وقضايانا المعاصرة (بيروت – دار الجيل – ٧٥) .
٥ – السيد عبد الحافظ عبد ربه : الثورة الاجتماعية في الاسلام (بيروت – دار الكتاب اللبناني – ١٩٧٢) .
٦ – د . حامد ربيع : نظرية القيم السياسية (القاهرة – نهضة الشرق – ١٩٧٣) .
٧ – صابر غنيم : الاسلام ومشكلات السياسة (بيروت – دار الجيل – ١٩٧٤) .
٨ – د . عائشة عبد الرحمن : «بنت الشاطىء» : القرآن وقضايا الانسان : ط ١ (بيروت – دار العلم للملايين – ١٩٧٢) .
٩ – عباس محمود العقاد : الانسان في القرآن الكريم (القاهرة – دار الاسلام – ١٩٧٣) .
١٠ – عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية (القاهرة – دار الاسلام – ١٩٧٣) .
١١ – عبد السميع المصري : نظرية الاسلام الاقتصادية (القاهرة – الانجلو – ٧٢) .
١٢ – عبد الغني عبود : الانسان في الاسلام والانسان المعاصر

(القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٧٨) .
١٣ – عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعا (القاهرة – دار الفكر العربي – ١٩٧١) .
١٤ – محمد اقبال : عودة الى العقيدة الاسلامية (لاهور – مطبعة الاشراف – ١٩٥٤) .
١٥ – د . محمد حسين هيكل : حياة محمد (القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٣) .
١٦ – محمد جلال ابو الفتوح شرف الله والعالم والانسان في الفكر الاسلامي (ط ٣ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٥) .
١٧ – د . محمد عبد الهادي النجار : الاقتصاد في الاسلام (الكويت – سلسلة عالم المعرفة) .
١٨ – محمد عبده : رسالة التوحيد (القاهرة – اقرأ – عام ١٩٧٨) .
١٩ – د . محمود عثمان : الفكر المادي الحديث وموقف الاسلام منه (القاهرة – الانجلو – ١٩٧٧) .
٢٠ – مصطفى الرافعي : الاسلام ومشكلات العصر (ط –١ – دار الكتاب اللبناني – بيروت – ١٩٧٢) .
٢١ – منصور الرفاعي عيد : الاسلام والتكافل الاجتماعي .
٢٢ – يعقوب المليجي : مبدأ الشورى في الاسلام (الاسكندرية – مؤسسة الثقافة الجامعية – ١٩٨٤) .
٢٣ – وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى «القاهرة – المختار الاسلامي – ط ٥ – ١٩٧٤) .

الفهرســت

صدر من هذه السلسلة